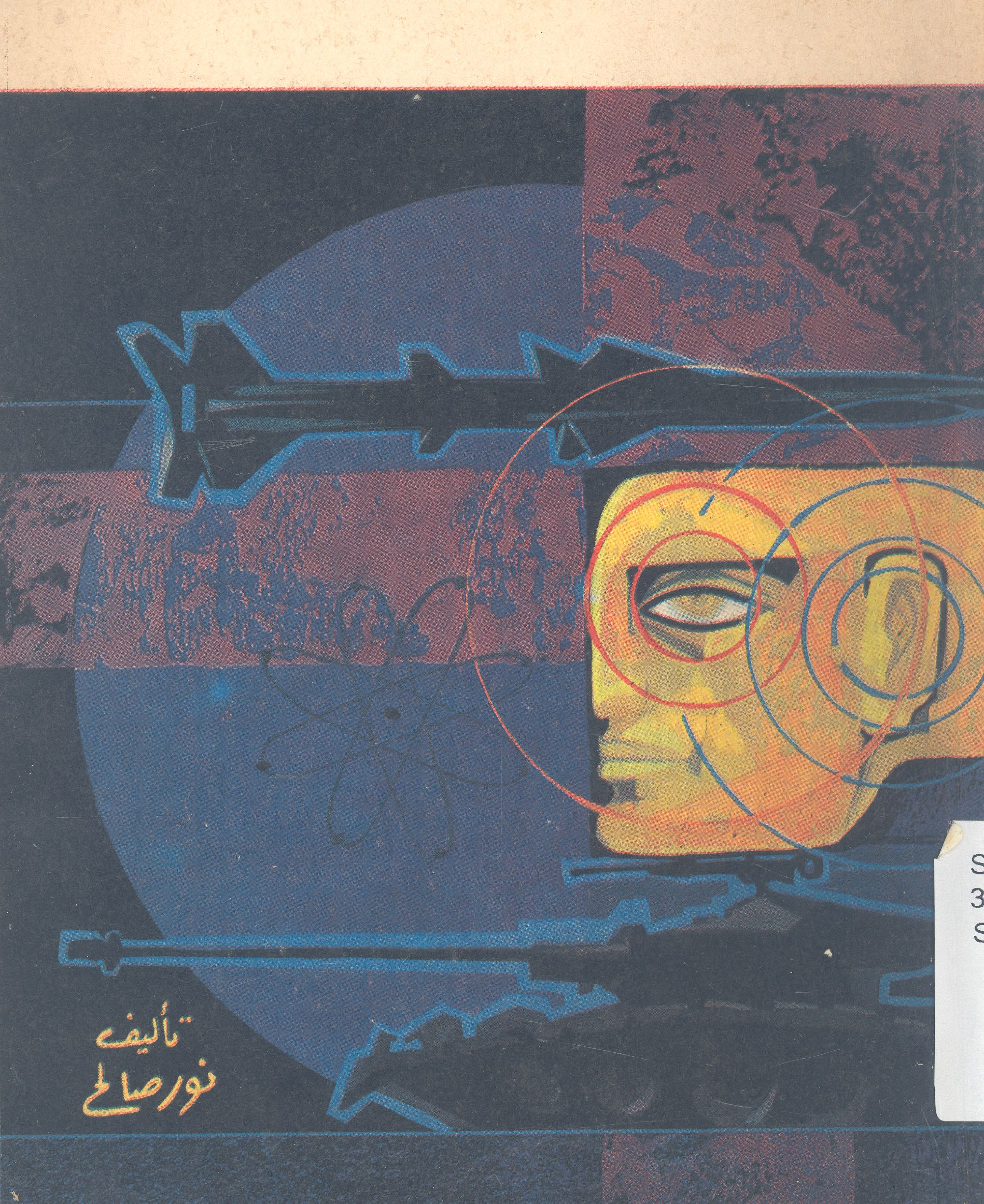
جواسيس غيروا مجرى التاريخ



جواسيس غيروا مجرى التاريخ

دراسة

عن

الحرب العالمية الثانية

⊙

تأليف : نور صالح

⊙

توزيع دار المعارف بمصر

الغـــلاف من تصـــميم

صفوت عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أهـــداء

الى ..

ضباط وجنود القوات المسلحة المصرية الذين سطروا بدمائهم وأرواحهم أروع ما يمكن أن يكتب فى تاريخ الأمم .

وحققوا بعبورهم القنــاة وتحطيم خط بارليف وهزيمة اسرائيل الانتصــار الكبير الذى شـهد به القــادة والخبراء العسكريون فى جميع أنحاء العالم .

ورفعوا ببطولاتهم اســم مصر والأمة العربيــة عاليا الى المرتبة اللائقة بتاريخها العريق .

والى ..

شعوب وحكومات الدول العربية والصديقة التى وقفت بايجــابية الى جانب مصر وجعلت من انتصــارها حقيقــة ملموسة .

اهدى هذا الكتاب راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يساهم فى تحقيق الهدف الذى وضع من أجله .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأفراد هم صانعو التاريخ ومحركو الحوادث ومنشئو الحضارات وهم فى ميدان الجاسوسية يقومون بأعمال تمهد بالضرورة لكسب الحرب أو تأمين السلم وقد تضاربت الآراء حول أهمية العمل فى هذا الميدان ما بين التأييد والتنديد كما تثير كلمات « **المخابرات والجاسوسية والجواسيس ...** » كثير من الحساسيات والغموض لدى بعض المواطنين ونبادر الى القول بأن أجهزة المخابرات والأمن فى كل دولة تقدم لأوطانها خدمات كبيرة سنترك للقارىء الكريم التحقق بنفسه من قيمتها خلال الفصول المختلفة للكتاب والتأكد من صحة ما قاله نابليون بونابرت من « **ان جاسوسا واحدا فى الموضع المناسب هو بمثابة عشرين ألف جندى فى الميدان** » وما ذكره الملك جورج الخامس « **أعتقد أن الجاسوس هو أعظم الجنود ويكرهه العدو أشد من غيره لأنه يخشاه أكثر من أى شىء آخر** » .

شهدت الحرب العالمية الثانية أكبر تحرك فى ميدان المخابرات منذ أن أرسل النبى موسى عليه السلام جواسيسه الى أرض كنعان حتى الوقت الحالى ، وقد ترتب على هذا التحرك نتائج على جانب كبير من الأهمية كان لها تأثير حاسم على سير المعارك الحربية (**بيرل هاربر ـ ستالينجراد ـ دنكرك ـ ارنهيم .. الخ**) . وعلى تحديد النتائج النهائية للحرب . وقد ساهم فى تحقيق هذه النتائج أشخاص بارزين يستحقون أن يطلق عليهم بحق الجواسيس الذين غيروا مجرى التاريخ .

كان لكثافة العمليات التى تمت ونوعياتها المختلفة ، أثر واضح ـ أيضا ـ فى تعميق فن الجاسوسية وبلورة كثير من مبادئه الأساسية ، ودفع كثير من الدول خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى الابقاء على مستوى نشاط أجهزتها بعد الحرب ، على ما كان عليه خلالها ، ادراكا منها لأهمية ذلك ، وتلافيا

للأخطاء التى وقعت فيها فى فترة ما بين الحربين نتيجة تخلف أجهزتها عن ملاحقة التطور الكبير فى تنظيم وتمويل ونشاط أجهزة المخابرات الألمانية واليابانية ، وما نتج عنه من اصابتها بانتكاسات كبيرة فى السنوات الأولى لنشوب الحرب .

وقد اتسمت عمليات المخابرات الايجابية والوقائية خلال هذه الفترة بعدة خصائص ميزتها عن مثيلاتها فى جميع المراحل التاريخية السابقة ، سواء من حيث الأهداف أو الوسائل أو الشكل والمحتوى ـ ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذه الفترة الهامة التى يمكن ايجاز أهم خصائصها فيما يلى :

١ ـ شمول عمليات التجسس الخاصة بنظام واحد ، لمناطق وقارات بأكملها بعد أن كانت قاصرة من قبل على منطقة معينة أو جزء بسيط من قارة (تغلغل شبكات المخابرات السوفييتية والألمانية والبريطانية والأمريكية واليابانية فى قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكتين) .

٢ ـ ظهور أسماء جديدة لامعة ، سواء فى ميدان التجسس أو مقاومة الجاسوسية ، أضافت الى التراث التاريخى الطويل للمخابرات فيضا جديدا من التقاليد والتجارب (الدكتور ريتشارد سورج وروسلر وهما ألمانيان عملا لصالح المخابرات السوفييتية ، أوزاكى وألكسندر فوت ـ اللذين خدما الجانب السوفييتى ، ميشيل هولارد فرنسى ـ قدم خدمات بالغة الأهمية لبريطانيا ، أ٠ج ادلمان بريطانى ـ أوريستى بينتو هولندى الذى وصفه الجنرال أيزنهاور بأنه أعظم خبير للأمن على قيد الحياة ـ الأدميرال زخارياس ولاديسلاس فاراجو وهما أمريكيان قدما خدمات كبيرة لبلدهما وقاما بتأليف عدة كتب قيمة عن أعمال المخابرات ٠٠) .

٣ ـ التوسع الكبير فى استخدام الحرب النفسية كأحد الوسائل الرئيسية للمخابرات فى الحرب الشاملة بين الحلفاء ودول المحور واستحداث أساليب جديدة فيها ، وتطوير القائم منها (برامج اذاعية موجهة لجنود وضباط السلاح البحرى وأخرى موجهة لسلاح الطيران وثالثة للمشاة والمدرعات رفعا لروحهم المعنوية من جانب الدول التابعين لها أو لخفض هذه الروح بواسطة الأجهزة المعادية ـ تطوير فن نشر الشائعات وتنويعه ـ انشاء ادارات واصدار صحف ونشرات وكتيبات متخصصة فى التوجيه المعنوى) .

٤ ـ الاهتمام الكبير بالمخابرات العلمية والفنية وابتكار وسائل فنية على درجة كبيرة من الدقة ، وتسخيرها فى خدمة عمليات الجاسوسية المختلفة ، وتطوير السابق منها (أجهزة التصنت ـ والتصوير الفوتوجرافى الدقيق ـ الأجهزة

السلكية واللاسلكية ــ الشفرة ــ التصوير الجوى ٠٠) ٠ ولا نبالغ اذا قلنا بأن التقدم الفنى الذى حدث فى ميدان المخابرات خلال الحرب الثانية يفوق مثيله فى جميع الفترات التاريخية السابقة ٠

٥ ــ كبر حجم ميزانيات أجهزة المخابرات خلال هذه الفترة بالمقارنة بالميزانيات السابقة (عدة أضعاف) وبالتالى تنوع وكثرة عدد العمليات التى قامت بها والنتائج التى حققتها أو التى فشلت فى تحقيقها ٠

٦ ــ اكتساب تنظيمات المخابرات القائمة لمزيد من الخبرة التى صقلتها لتجارب النجاح والفشل ، وادخال كثير من التحسينات عليها سواء فى الشكل أو المضمون ، وانشاء فروع أخرى لهذه التنظيمات تحت ضغط الظروف الجديدة ٠

توضح العوامل السابقة الشمول الذى اتسمت به أعمال المخابرات المختلفة وتعددها ، كما تشير الى أهمية الدور الذى قامت به أجهزة المخابرات خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد دفعتنى الرغبة فى القاء مزيد من الضوء على الجوانب المختلفة لأعمال أهم هذه الأجهزة (السوفييتية ــ البريطانية ــ الأمريكية ــ الألمانية ــ اليابانية) ورجال المخابرات الذين عملوا فى اطارها ، وتحليلها من وجهة النظر العربية وتوضيح الدروس المستفادة منها ، الى محاولة عمل دراسة للأعمال البارزة التى قامت بها خلال هذه الفترة خاصة وأن كثير من الكتب التى صدرت فى هذا الشأن لم تتناول جميع أعمالها فى حيز واحد وبأسلوب تحليلى كما لم يقدم البعض الآخر صورة حقيقية للأعمال الهامة التى قامت بها المخابرات الألمانية واليابانية والتى كان لها أثر كبير فى الانتصارات العسكرية الواسعة التى حققتها ألمانيا واليابان فى أوائل الحرب وفى تأخير تاريخ انهيارهما ٠ ولا شك أن تناول هذه الفترة التاريخية الحيوية بالدراسة والتحليل أمر جدير بالمحاولة وذلك على ضوء الأهمية الكبرى لتفهم الأحداث التاريخية البارزة والاستفادة من تجارب غيرنا من الشعوب ورفع مستوى الأمن لدى المواطنين ٠

وسنتناول فى هذا الكتاب التنظيمات الأساسية للأجهزة الخمسة المشار اليها دون النظم الأخرى (بالنظر الى كبر حجم نشاطها والنتائج التى حققتها بالمقارنة بغيرها) وأهم أهدافها ووسائلها والأعمال الهامة التى قامت بها والدروس المستفادة منها مع التركيز على الدور الهام الذى قام به الجواسيس كل فى موقعه ٠ واعطاء ثقل خاص للظروف الدولية والداخلية التى أحاطت بمختلف العمليات التى قامت بها أجهزة المخابرات ومدى تأثيرها بالنسبة للمجالات المختلفة ٠

القسم الأول

المخابرات السوفييتية

الفصل الأول

العوامل التى ساعدت على نجاح المخابرات السوفييتية

ينطبق ما أوضحناه عن المكاسب الهامة التى حققتها أجهزة المخابرات المختلفة خلال الحرب العالمية الثانية ، على أعمال الشبكات السوفييتية بصورة كاملة ، حيث ساهمت بالفعل فى تحديد النتائج النهائية لكثير من المعارك الحربية الحاسمة (**موسكو ـ ستالينجراد ..**) وبالتالى كفلت انهاء الحرب لصالح الحلفاء كما سيتضح لنا بالتفصيل عند تناول أعمالها المختلفة . ولا شك أن هذه النتائج الكبيرة لم تأت عفو الخاطر ، أو عن طريق تنظيمات تكونت بين يوم وليلة ، أو بواسطة أفراد تميزوا بضحالة الدافع الذى وجه أعمالهم ، وانما تحققت نتيجة تضافر عوامل تاريخية ، وتنظيمية ، وفنية شاركت جميعا فى تشكيل العناصر الأساسية التى مهدت للنجاح الذى حققته المخابرات السوفييتية .

العوامل التاريخية :

ساهمت هذه العوامل بصورة ملموسة فى النجاح الذى حققته أجهزة المخابرات السوفييتية خلال الحرب العالمية الثانية ، والانجازات الكبيرة التى لا زالت تحققها فى الوقت الحالى وذلك على الوجه التالى :

- **تأثر الحكومة والمسئولين السوفييت بروح وأساليب وتنظيمات العمل السرى الذى نتج عن الميراث الطويل للنظم القيصرية والفردية التى حكمت روسيا قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧ (كان من أهم وسائلها تنظيمات بوليسية محكمة التنظيم والدقة لتتبع نشاط العناصر المناهضة لها والقضاء عليها) . وقد انعكس هذا الميراث على أجهزة المخابرات السوفييتية التى أنشئت فى أعقاب**

الثورة الشيوعية ، حيث أبقى الحكام الجدد على بعض المؤسسات القديمة ، كما استعانوا بخبرات بعض المسئولين فيها مما أسفر فى النهاية عن تقدم أسلوب وكفاءة العمل بالأجهزة السوفييتية فى جميع المراحل اللاحقة ·

- **تشبع الشعوب السوفييتية من جانب آخر ، بالأساليب المعروفة لعمل المخابرات بتأثير تاريخهم الحافل بأساليب المقاومة ضد النظم الاستبدادية القديمة ، ولممارستهم لأسلوب العمل السرى فى اطار الجمعيات التى شكلوها لتحقيق أهدافهم وقد أسفر ذلك عن توافر عدد كبير من الأفراد الصالحين للعمل بكفاءة فى أجهزة المخابرات المختلفة داخل الأراضى السوفييتية وخارجها ·**

العوامل التنظيمية :

قامت هذه العوامل بدور أساسى فى تهيئة الوسائل المناسبة والتنظيمات الدقيقة والظروف الملائمة ، التى أدت فى النهاية الى نجاح أجهزة المخابرات السوفييتية فى تحقيق مكاسبها الكبيرة خلال الحرب الثانية · ولتحقيق الأهداف التكتيكية والاستراتيجية للاتحاد السوفييتى ، أنشأوا عدة تنظيمات للمخابرات اتسمت بكبر الحجم ودقة التنظيم وتعاونت فيما بينها فى تنفيذ الواجبات التى ألقيت على عاتقها ، كما قاموا فى المجال الخارجى بمد الأحزاب الشيوعية المحلية وسائر التنظيمات والأفراد الذين يرتبطون بالشيوعية الدولية ، بكافة المساعدات المادية والفنية والبشرية التى تمكنهم من خدمة أهداف موسكو · ولكى ندرك أبعاد هذا التنظيم المتشعب لأجهزة المخابرات السوفييتية نشير بايجاز فيما يلى الى التنظيمات والأفراد الذين عملوا لصالحها بطريقة أو بأخرى :

- **المكتب الرابع التابع لهيئة أركان حرب الجيش ·**

- **أقسام المخابرات التابعة للجيش والبحرية والطيران سواء فى الوحدات الميدانية أو فى العاصمة ·**

- **مكاتب الملحقين العسكريين والجويين والبحريين والتى تخضع مباشرة للمخابرات الحربية ·**

- **ادارة المخابرات السياسية بوزارة الخارجية والتى تتجمع فيها جميع تقارير السفارات والقنصليات والمفوضيات السوفييتية بالخارج ·**

وقد قام المسئولون السوفييت من أجل استكمال عناصر نجاح أجهزة المخابرات ، بتخصيص اعتمادات مالية كبيرة للانفاق على النشاط المتعدد الجوانب لهذه الأجهزة (**مصاريف ادارية وفنية ـ أجور ومرتبات للموظفين والعملاء مقابل خدماتهم** ٠٠) فضلا عن تسخير الامكانيات والتسهيلات الأخرى لخدمتها (**أنشطة واسعة فى الداخل والخارج**) ٠

وقد كان من الطبيعى ونتيجة لهذا العدد الكبير من التنظيمات ، وهذه الميزانيات الضخمة أن تتوسع الرقعة الأرضية التى شملتها تحركاتها لتشمل عدد لا حصر له من الدول التى للاتحاد السوفييتى مصالح فيها ، أو تحظى باهتمام استراتيجيته بوسيلة أو بأخرى (**ألمانيا ـ سويسرا ـ فرنسا ـ بلجيكا ـ هولندة ـ انجلترا ـ أسبانيا ـ جميع دول شرق وجنوب أوروبا ـ الدويلات الثلاث التى تقع على بحر البلطيق ـ اليابان ـ الصين ـ دولة منشوكو بمنشوريا ٠٠ الخ**) مما أتاح بالتالى توافر أكثر من مصدر للمعلومات عن الدول والمناطق والموضوعات ، بنفس الدرجة من الأهمية الأمر الذى أتاح فرصا واسعة أمام المسئولين السوفييت ، لتقييم كافة المعلومات التى تصلهم من المصادر المختلفة بالاعتماد عليها جميعا ، فضلا عن تغطية النقص عن أى موضوع بالالتجاء الى الشبكات التى لديها امكانيات لذلك (**حدث هذا بالنسبة لشبكات سورج فى اليابان ورادو فى سويسرا والأوركسترا الحمراء فضلا عن العملاء السوفييت فى فرنسا ٠٠**) ٠

العوامل الفنيـــة :

لم يكن فى استطاعة العوامل التاريخية ، أو العقائدية أو التنظيمية ، أن تجعل نجاح أجهزة المخابرات السوفييتية أمرا واقعا دون العوامل الفنية التى كفلت بالفعل أخطر وأهم العوامل التى ساهمت فى تحقيق انتصاراتها الكبيرة خلال الحرب الثانية والتى يمكن ايضاحها فيما يلى :

◉ **ارتفاع كفاءة تدريب الموظفين السوفييت أو العملاء الأجانب الذين توضع من أجلهم برامج دراسية واسعة تشمل جميع فروع المعرفة (اللغات الأجنبية ـ القانون ـ العلوم السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والكيمائية والرياضية ـ علوم المخابرات الايجابية والوقائية .. الخ) ويلاحظ أن الفترات التدريبية لبعض العملاء الذين يعدون لاداء مهمات على جانب كبير من الأهمية تمتد الى نحو العشر سنوات لضمان تحقيق الأهداف بدقة كاملة (يوجد بالاتحاد السوفييتى معهد تابع للمخابرات**

يسمى جيتزينا تستمر الدراسة فيه لمدة عشر سنوات ويتعلم فيه الدارسون كل شيء عن البلاد التى سيمارسون فيها نشاطهم ، وينسون أية تفاصيل تتعلق بحياتهم أو جنسياتهم السوفييتية) .

◉ استحداث وسائل فنية جديدة والتوسع فى استخدام الوسائل القديمة بعد تطويرها (الأجهزة الفنية الخاصة بالتصوير الدقيق والتسجيل والتصنت والشفرة والارسال اللاسلكى ـ الطابور الخامس ـ التخريب المادى والمعنوى ـ حروب العصابات على مؤخرة الجيوش ـ الاستكشاف بواسطة الجنود غير النظاميين ..) الأمر الذى ساعد كثيرا على زيادة سرعة وقيمة الأعمال التى حققتها الأجهزة السوفييتية . ولايضاح أهمية النتائج التى يمكن أن تحققها بعض هذه الوسائل بالنسبة للمخابرات السوفييتية نشير الى ما تضمنه الكتاب الذى أصدرته عام ١٩٤٢ وعنوانه « كتاب اليد لقوات المناضلين وأفراد حرب العصابات » والذى شرح كيفية اجتياز جبهات القتال وتدمير منشئات العدو وامداداته ووسائل مواصلاته والحصول على المعلومات الخاصة بقواته ومواقعها وتسليحها ومستودعاتها ومراكز تموينها ونواياها الحالية والمستقبلة .

◉ الاختيار الدقيق للساتر المناسب الذى يعمل فى اطاره العملاء (اشتغال ريتشارد سورج بالصحافة ـ ادارة الفرد رادو لوكالة تختص بالشئون الجغرافية ـ انتحال الكسندر فوت لشخصية رجل أعمال انجليزى .. الخ) مما أتاح لهم تغطية حقيقة العمل الذى قاموا به وأمدهم حرية واسعة للحركة فضلا عن توفير قدرات كبيرة على اقامة اتصالات متشعبة .

◉ نجاح كثير من الشبكات المحلية فى ايجاد مصادر للتمويل الذاتى بعد أن تعذر ورود أموال لها من الأجهزة المركزية التى تشرف عليها ، وقد ساعد ذلك فى بعض الحالات على عدم توقف نشاط هذه الشبكات عن ارسال المعلومات الهامة لموسكو فى الوقت المناسب ، والحيلولة دون الاتصال المباشر بالسفارات السوفييتية وبالتالى تجنب الشبهات التى يمكن أن تدور حول المصادر التى تحصل منها على اعتماداتها المالية .

◉ الاستغلال الجيد لكافة العوامل والظروف المواتية التى عملت فى نطاقها الشبكات المختلفة (حياد سويسرا ـ المواطنون المعادون للنظم النازية أو أنصار الشيوعية ـ منظمات المقاومة الشعبية السرية ـ المناطق التى

احتلتها الدول المعادية لها ٠٠ الخ) مما كان له أثره في زيادة فرص نجاحها وتعدد مصادر معلوماتها وقد كفل هذا العمل أيضا وسائل الانذار المبكر المناسبة للابلاغ عن تحركات السلطات المحلية ، تجاه هذه الشبكات أو تجاه مصالح الاتحاد السوفييتي ٠

⊙ لا يزال هناك عامل آخر أعتقد أنه أهمهم جميعـا وهو اجراءات وتعليمات الأمن التي اتبعتها أجهزة المخابرات السوفييتية سواء بالنسـبة للأفراد ، أو وسائل الاتصالات ، أو المنشئات ، أو المكاتب ويلاحظ أن الجوهر العام لهذه الاجراءات يتمشى مع مثيله في منظمات المخابرات الأخرى (البريطانية والأمريكية والألمانية واليابانية ٠٠) الا أنها تقابل من جانب السـلطات السوفييتية بعناية كاملة وحرص شديد على تطبيق جميع تفاصيلها الفرعية بكل دقة ٠ كما تفرض عقوبات قاسية على أى فرد يرتكب أقل خطأ تجاهها ٠ ولا شك أن الدافع الذى يكمن وراء هذا التشدد من جانب المشرفين على هذه الأجهزة هو ادراكهم لأن هذه التعليمات هى الأساس الذى يبنى عليه أى عمل ناجح وأن مميزات العمل السرى الذى تتسم به أعمال المخابرات المختلفة تنتفى نهائيـا اذا لم تراعى هذه التعليمات ٠ ولا يعنى ذلك أن الشـبكات السوفييتية لم ترتكب أى أخطاء أثناء ممارستها لأوجه نشاطها بل حدثت بالفعل بعض منهـا ، نتيجة لعوامل تتعلق بالأفراد ، أو بأجهزة مقـاومة الجاسوسية فى البلاد التى عملوا فيها ٠

الفصل الثانى

تطور أهداف المخابرات السوفييتية

يشمل تطور المخابرات السوفييتية جميع الجوانب المتعلقة بها (**الأهداف والوسائل والتنظيمات ـ الأساليب الفنية ـ التدريب ..**) الا أن ما يعنينا فى هذا المجال هو التطور الذى لحق بأهدافها العاجلة ، باعتباره التمهيد الطبيعى للحديث عن أبعاد نجاحها خلال الحرب الثانية .

لم يتمكن الحكام الجدد فى الفترة التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الأولى من فرض الاستقرار الكامل داخل الاتحاد السوفييتى وقد ضاعف من هذه الصعوبة :

- **التعدد الكبير فى قوميات واتجاهات الشعوب التى تقطن أراضيه .**
- **استمرار مقاومة الفئات الرأسمالية الداخلية لنظام الحكم الجديد .**
- **نشوب الخلافات بين القادة الشيوعيين .**
- **مناهضة الدول الرأسمالية الغربية للنظام الجديد .**

وقد فرضت العوامل الثلاثة الأولى على المخابرات السوفييتية أعباء متزايدة لتأمين النظام الشيوعى الوليد والقضاء على معارضيه فى الداخل فضلا عن الحيلولة دون انفصال الأقاليم التابعة له أما العامل الأخير فقد كان له أثر كبير فى تركيز اهتمام أجهزة المخابرات السوفييتية فى المجال الخارجى على الدول التى تزعمت النشاط المعادى للنظام الجديد .

وقفت فرنسا على قمة هذه الدول حيث كان لها دور أساسى فى مناهضة الاتحاد السـوفييتى حيث قامت بمساعدة الفئـات البورجوازية الداخلية التى

لا تزال تعارض النظام الجديد وشجعت هجرة أعداد كبيرة منهم اليها كما دعمت الدول المحيطة به خاصة بولنده ورومانيا ضد أى تحركات من جانبه • وقد دفعت هذه العوامل فضلا عن تزايد المكانة الدولية التى تمتعت بها خلال فترة ما بين الحربين الحكومة السوفييتية الى توجيه نشاط أجهزة المخابرات لفرنسا لتغطية كل ما يتعلق بها فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، معتمدة فى ذلك بصفة أساسية على الحزب الشيوعى المحلى الذى كان له نفوذ متزايد فى الحياة السياسية الداخلية وعلى العملاء الآخرين الذين استغلت الوسائل المعروفة فى تجنيدهم •

استمرت فرنسا فى احتلال المرتبة الأولى من اهتمام المخابرات السوفييتية فضلا عن بعض الدول الأخرى الأقل أهمية من حيث تركيز النشاط ضدها كالصين واليابان وانجلترا وألمانيا ودول شرق أوروبا الى أن تولى الحزب النازى الحكم فى ألمانيا عام ١٩٣٣ (**كان يكن عداءا شديدا لنظام الحكم فى الاتحاد السوفييتى ويعتبر أوكرانيا ضمن المجال الحيوى لألمانيا**) وظهرت بوضوح النزعة العسكرية فى اليابان (**احتلت منشوريا وبعض الأراضى الصينية الأخرى وهددت الحدود السوفييتية**) فبدأت منظماتها تتحول تدريجيا الى الاهتمام بصفة أساسية بكل ما يحدث بهاتين الدولتين ، فكونت شبكات متشعبة للجاسوسية فيهما ، وزودتهما بكافة الامكانيات والتسهيلات وقد أثبتت هذه الشبكات بما حصلت عليه من معلومات حيوية عنهما ـ مدى صحة هذا الاتجاه •

وقد لوحظ بالنسبة للشبكة السوفييتية باليابان والتى بدأت أعمالها عام ١٩٣٤ ، انها اعتبرت استمرارا لعدة محاولات سابقة من جانب الاتحاد السوفييتى لاقامة شبكات داخل اليابان وخارجها للحيولة دون تكرار نفس النتائج التى حدثت عام ١٩٠٥ حيث أدى تفوق أجهزة المخابرات اليابانية عن مثيلاتها الروسية خلال هذا العام الى هزيمة روسيا القيصرية أمام اليابان • ولذا فقد اهتمت المخابرات السوفييتية اهتماما كبيرا بمعرفة النوايا الحاضرة والمستقبلة للحكومات اليابانية المتعاقبة عن طريق شبكات الجاسوسية وغيرها ـ وقد ازداد هذا الاهتمام بعد تولى هتلر للحكم فى ألمانيا ، وظهور بوادر التقارب فى العلاقات بين البلدين والذى بلغ أقصاه عام ١٩٣٦ بعقدهما للاتفاق المعادى للشيوعية الدولية ، وقد دفع هذا الاتفاق الاتحاد السوفييتى الى زيادة نشاطه العلنى والسرى ضد الدولتين خشية أن يحدث غزو من جانبهما لأراضيه من الشرق والغرب فى وقت واحد •

وحينما تعثرت مباحثات الاتحاد السوفييتى مع كل من بريطانيا وفرنسا لعقد اتفاقية دفاع مشترك ضد ألمانيا ، ونظرا لخشيته من تكتل جميع الدول الرأسمالية ضده ، وقيام انجلترا بتشجيع اتجاه السياسة التوسعية الألمانية واليابانية نحو أراضيه لصرف أنظارها عن الامبراطورية البريطانية سعت موسكو الى التقارب مع ألمانيا بصفة مؤقتة لمحاولة كسب جانبها وضمان عدم غزوها لحدودها ، وانتهى ذلك بالفعل الى عقد اتفاقية تجارية بينهما عام ١٩٣٨ ثم ميثاق لعدم الاعتداء فى العام التالى مباشرة .

وقد انعكس التقارب المرحلى مع ألمانيا على نشاط الشبكات السوفييتية داخل أراضيها حيث توقفت الى حد ما عن ممارسة أعمالها العادية وفق تعليمات ستالين نفسه ، خوفا من القضاء على هذا التقارب أو اعطاء هتلر تبريرا للهجوم على الاتحاد السوفييتى فى وقت لم يستعد فيه بصورة كاملة لدخول الحرب الا أن سفور النوايا الحقيقية لألمانيا النازية تجاه نظام الحكم السوفييتى وقيامها بغزو أراضيه ، دفع هذه الشبكات الى بذل كل طاقاتها فى الحصول على كافة المعلومات الممكنة عن سياستها وخططها العسكرية وقواتها وتسليحها وتحركاتها ومراكز تموينها .. الخ كما سيتبين لنا بوضوح فى الفصول التالية .

الفصل الثالث

الشـبكة السوفييتية باليـابان

أجمعت كافة المؤلفـات والآراء التى تناولت أعمـال الشبكة السوفييتية باليابان برئاسة الدكتور ريتشارد سـورج ، على تأكيد أهميـة الانجازات التى حققتها ، والدور الكبير الذى قامت به فى خدمة الأهداف التكتيكية والاستراتيجية للاتحاد السوفييتى(١) • وفى الحقيقة فاننا لا نبالغ فى القول بأن النتائج النهائية للحرب العالمية الثانية قد ترتبت على الأعمال الهامة والمتوالية لهذه الشبكة • وهو ما يضع انجازاتها فى مقدمة العمليات البارزة التى قامت بها أجهزة المخابرات المختلفة خلال الحرب العالمية الثانية بل وخلال جميع المراحل التاريخية السابقة •

والى أن يتبين لنا بالتفصيل أبعاد هذا النجاح ، نكتفى بالاشـارة الى أن الفضل الأول فى انتصار القوات السوفييتية الحاسم على الجيش الألمانى فى معركة ستالينجراد والذى كان بداية النهاية للرايخ الثالث ــ يرجع الى المعلومات التى حصل عليها العملاء السوفييت فى اليابان ، والتى مكنت من نقل نحو مليونين من الجنود السوفييت من الحدود الشرقية والجنوبية لسيبيريا الى قلب ميدان القتال حيث كانت الحاجـة اليهم ماسـة مما أدى الى الحيلولة دون سـقوط العاصمة السوفييتية فى أيدى القوات الألمانية ثم هزيمتها بعد ذلك فى جميع المعارك الهامة التالية •

---

(١) ذكر رونالد سيث فى كتابه « فن الجاسوسية » ان هذه الشبكة حققت واحدا من أهم الأعمال فى تاريخ الجاسوسية العالمية ، كما أوضح الملحق السياسى بسفارة المانيـا بطوكيو فى الفترة التى عاصرت نشاط هذه الشبكة انه يعجب بما قام به سورج من اعمال باهرة فى الجاسوسية وهى تكاد تكون ضربا من المستحيل حيث كان من أقدر الجواسيس وأشدهم خطرا فى جميع العصور (الرجل ذو الوجوه الثلاثة) أما كورت سـنجر فقد وصـفه بأنه أعظم جاسوس فى تاريخ روسـيا القيصرية والشيوعية (جواسيس وخونة) •

وقبل أن نتناول الجوانب المختلفة لهذه الشبكة نوضح أن ذلك سيشمل بالتحليل كل ما يتعلق بها من شخصيات وأعمال نظرا لأهميـة انجازاتها ودقة تنظيمها ، ولكونها نموذجا كاملا للشبكات السوفييتية المتعددة التى انتشرت فى أنحاء كثيرة من العالم ، ولغيرها من الشبكات التابعة للدول الأخرى ، أما أعمال الشبكات السوفييتية الأخرى التى سنتعرض لها بعد ذلك فسيقتصر تناولنا لها على ابراز الجوانب الفنية أو التى لها أهمية خاصة .

ريتشـارد سـورج :

لا شك أن نجاح الشبكة يرجع فى جانب كبير منه الى شخصية وأعمال رئيسها الدكتور ريتشارد سورج ومن ثم يصبح من الضرورى القاء بعض الضوء على نشأته وصفاته الشخصية ، وثقافته ، واتجاهاته السياسية .

وأول ما يفرض نفسه علينا فى هذا الشأن هو جنسيته الألمانية فقد ولد عام ١٨٩٥ من أبوين ألمانيين وقضى فترات صباه وشبابه بين مواطنيه مما يثير بالتالى حقيقة الدافع الذى جعله من أكثر الشـيوعيين الأجانب ولاءا للاتحـاد السوفييتى ، وللشيوعية الدولية ، ومن أفضـل العملاء السوفييت منـذ ثورة أكتوبر حتى الوقت الحالى . وتعطينا الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التى عاصرها والمبادىء الشيوعية التى تأثر بها تفسيرا واضحا لهذه الحقائق فقد تأثر سورج بهزيمة بلاده فى الحرب العالمية الأولى ، والظروف الاقتصادية السيئة التى عاشتها فى أعقاب الحرب والتى عانى من ويلاتها الكثير (**أصبح عاطلا ولا يجد ما يستعين به على مواجهة متطلبات الحياة**) . مما انعكس على تفكيره ومعتقداته الى حد التذبذب ومهد بعد ذلك للتحـول الرئيسى فى آرائه ونظرته للمجتمع الألمانى وغيره من المجتمعات .

وقد كانت الخطوة التى أعقبت ذلك هى التجائه الى قراءة المؤلفات والمراجع الشيوعية خاصة كتابات ماركس ولينين والتى جعلته يؤمن بأن الأنظمة التى قامت على أساسها هى الوحيدة التى يمكن أن تحل جميع مشاكل المجتمع الألمانى ، فضلا عن مشاكله الخاصة (**كان رائده فى ذلك جده لأبيه أدولف سورج الذى كان سكرتيرا خاصا لكارل ماركس**) وقد أدى هذا الاتجـاه فى النهاية الى التحاق سورج بالحزب الشيوعى الألمانى (**فرع هامبورج**) فى نفس اليوم الذى حصل فيه على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية عام ١٩٢٠ .

تجنيد سورج :

نظرا للنشاط الواسع الذى قام به سورج فى خدمة فرع الحزب بهامبورج (**تلقين مبادىء الشيوعية للطلبة الذين قام بالتدريس لهم ولعمال المنجم الذى عمل به ولكثيرين غيرهم ـ اشتراكه فى اضطرابات كييل التى أدت الى تمرد الأسطول الألمانى ..**) وتفانيه فى تحقيق الأهداف الأخرى للشيوعية ، بالاضافة الى تمتعه بذكاء خارق وبديهة حاضرة وارادة قوية ، أدرك المسئولون عن المخابرات السوفييتية بالاشتراك مع زعماء الحزب الشيوعى الألمانى أن سورج يعتبر هدفا صالحا للتجنيد ، وبعد مزيد من التحريات التى أكدت هذا الاتجاه تم عرض فكرة التعاون عليه .

قوبل هذا التجنيد من جانب سورج بارتياح ، لاتاحته فرصا واسعة أمامه لخدمة المبادىء التى آمن بها ، فضلا عن كونه ميدانا جديدا لا يخلو من الاثارة المحببة الى نفسه . وقد اجتاز بنجاح جميع المراحل المتعددة للتدريب ، والتى استغرقت خمس سنوات وأجاد خلالها جميع الوسائل الفنية المتعلقة بالمهنة ، وثلاث لغات أجنبية هى الروسية والانجليزية والفرنسية بالاضافة الى لغته الأصلية ثم تعلم فيما بعد اللغتين الصينية واليابانية كما قام بزيارة عدد كبير من الدول (**الاتحاد السوفييتى ـ الولايات المتحدة ـ الدول الاسكندنافية ـ الدول البلقانية ـ بريطانيا ـ الصين ـ هونج كونج ـ اليابان ..**) مما كان له أثره فى زيادة الخبرات التى اكتسبها وتوسيع آفاق تفكيره .

وحينما اختير لرئاسة الشبكة السوفييتية باليابان ـ بعد توليه عدة مهام مماثلة فى دول كثيرة ـ كان قد اطلع بالفعل على عدد كبير من المؤلفات السياسية والاقتصادية التى جعلته باعتراف الجميع أحد الخبراء الذين يعتمد عليهم فى الشئون الدولية والداخلية لعدد كبير من الدول . وقد حرص بعد توليه العمل باليابان على دراسة كل ما يتعلق بالسياسة الخارجية لها ، وعلاقاتها الثقافية مع الدول الكبرى فضلا عن معرفة دخائل القوى الرئيسية التى تسيطر على سياستها الداخلية والعوامل التى تحركها والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تسود المجتمع اليابانى ، الأمر الذى ساعده بعد ذلك كثيرا فى ادارة الشبكة بكفاءة ودقة نادرتين وجعله بحق من أفضل وأشهر رجال المخابرات على مر التاريخ .

تكوين الشـــبكة :

نظرا للأهمية الكبيرة التى علقها الاتحاد السوفييتى على النتائج التى يمكن أن تحصل عليها شبكته باليابان اشترك مدير المكتب الرابع التابع لهيئة أركان حرب الجيش السوفييتى بنفسه مع سورج فى اعداد الخطط الرئيسية لها وطريقة تشغيلها وأسماء أعضائها والوسائل التى ستستخدمها فى نقل المعلومات التى ستحصل عليها • وقد بدأت الشبكة نشاطها بالفعل فى عام ١٩٣٤ ويلاحظ أن معظم أعضائها الرئيسيين (**سورج ــ أوزاكى ــ كلوسن ــ فوكولويتش**) كانوا يعملون من قبل فى الشـــبكة السوفييتية بالصين أى كانت لهم خبرة ســابقة وطويلة بأعمال المخابرات ، وبالظروف الدولية والداخلية لمنطقة جنوب شرقى آسيا ، الأمر الذى أتاح لهم خلفية واسعة عن سياسة اليابان تجاه هذه المنطقة وهو ما ساعدهم فيما بعــد على اجادة أعمــالهم التى تعلقت فى جزء كبير منها بالنوايا المعاصرة والمستقبلة لليابان •

السواتر التى اتخذها أعضاء الشـــبكة :

من المعروف أن نجاح أى عمل فى ميدان المخابرات لا يتحقق الا باتخــاذ الشخص الذى سيتولاه ساترا Cover Story يتلائم مع طريقة العمل الذى يقوم به ، ويغطى حقيقة نشاطه ويعطيه فى نفس الوقت حرية واسعة للحركة واقامة الاتصالات الضرورية • وقد نجح جميع الأعضاء الرئيسيين فى الشبكة بدون استثناء فى توفير الساتر المناسب واستغلاله لأقصى درجة ممكنة • ونظرا لاهمية هذا الجانب من الدراسة ، سنعرض فيما يلى لطبيعة السواتر التى اتخذها الأعضــاء الخمســة الرئيســيين بالشــبكة (**ســورج ــ أوزاكى ــ فوكولويتش ــ كلاوسن ــ مياجى**) والدور الذى قام به كل منهم خلالها •

ســـــــورج :

حرص سورج قبل توليه رئاسة الشبكة على مراعاة هذا العامل ، وأدرك بالاشتراك مع رؤسائه السوفييت ، أن الارتباط الشكلى بالنظام النازى الذى يسود ألمانيا أمر ضرورى لتسهيل مهمته باليابان خاصة على ضوء التقارب الكبير فى العلاقات بين الدولتين • كما أدرك أن العمل الصحفى هو أفضل ساتر يمكن اتخاذه لتحقيق نفس الهدف وتوقع أن تكون اتصالاته بأعضاء السفارة الألمانية

بطوكيو ذات فائدة غير محدودة لأعماله لأنها ستتيح له قدرا كبيرا من المعلومات عن كلا البلدين وابعاد الشبهات عن حقيقة نشاطه ، لذلك فقد بادر بالسفر الى ألمانيا ونجح فى تحقيق كل ما دار فى ذهنه من تخطيط حيث قام بما يلى :

١ ـ تمكن من الانضمام للحزب النازى بناء على توصية من بعض زملائه القدامى .

٢ ـ التحق بقسم الصحافة التابع للحزب بتزكية من بعض الألمان ذوى النفوذ .

٣ ـ نجح فى الظهور بين الأوساط النازية الرسمية وأن يكون معروفا لديها الى الحد الذى كان يدعى فيه الى الحفلات التى يحضرها هتلر ، وقد كان لذلك أثره فيما بعد من اعتقاد أعضاء السفارة الألمانية بطوكيو والمسئولين اليابانيين بأنه كان يتمتع بثقة وتأييد الحزب النازى .

٤ ـ حصل على وظيفة مراسل لثلاث صحف ألمانية كبرى فى اليابان .

٥ ـ دعا كل من وزير الدعاية الألمانى (جوبلز) ورئيس قسم الشئون الخارجية فى رئاســـة حزب النازى (بوهل) للحفل الذى أقامه نادى الصحافة الألمانى له (سورج) قبل سفره الى طوكيو .

واستمر سورج بعد وصوله الى طوكيو فى استغلال الساتر الجيد الذى ارتبط به وقد ساعد على ذلك الصفات الشخصية الفريدة التى كان يتمتع بها فأقام صلات عمل وصداقة مع معظم أعضاء السفارة الألمانية وبصفة خاصة السفير والملحق العسكرى وبحيث أدت فى النهاية الى تعيينه رئيسا لادارة الاستعلامات بالسفارة وبالتالى معرفة أدق أسرارها سواء عن طريق هذا المنصب أو بواسطة السفير الذى كان يتمتع بثقته الكاملة **(كان يتناول معه يوميا طعام الافطار)** . وليس هناك أدل على براعة سورج فى اخفاء حقيقة نشاطه من قول أحد الملحقين بالسفارة بطوكيو حينئذ بأنه كان يتمتع بكل مبررات الثقة فيه وأن جميع الموظفين ـ بما فيهم الملحق ـ كانوا يعتقدون أن حقيقة أمره تنطبق على ما كان يتظاهر به .

أوزاكى :

كان الساتر الذى اتخذه أوزاكى **(وهو مواطن يابانى من أسرة نبيلة)** خلال عمله لصالح الاتحاد السوفييتى فى الصين هو نفسه الساتر الذى استخدمه فى طوكيو وهو العمل الصحفى وقد جاء هذا الساتر استمرارا طبيعيا للمجالات

التى يهتم بها ، كما كان يتفق مع ثقافته الواسعة وخبرته التى يعتمد عليها فى شئون اليابان والصين ومعظم دول منطقة جنوب شرقى آسيا الأخرى **(له خمس مؤلفات فى العلاقات اليابانية الصينية) .**

ومن الجدير بالذكر أن الدافع الذى جعله يعمل فى خدمة موسكو ، هو نفس الدافع الذى وقف وراء قبول سورج لنفس العمل ، وهو الايمان بالمبادىء الشيوعية .

وتقف الانجازات التى حققها أوزاكى خلال عمله بالشبكة على قمة الأعمال التى حققها جميع أعضائها بما فيهم سورج نفسه ، الا أن طبيعة الدور الذى قام به رئيس الشبكة من حيث قيامه بتجنيد أوزاكى وكثير من الأعضاء وتوجيه أعمالهم ، والاشراف على وضع كل الخطط الخاصة بتشغيلهم وتمويلهم وحمايتهم ، فضلا عن حصوله على معلومات قيمة من السفارة الألمانية وبعض المصادر الأخرى – هى التى ميزت أعمــاله وأعطته هذه الميزة التى فاقت كل ما عرف عن أوزاكى . وسنكتفى لتدعيم هذا الرأى بالاشارة بايجاز الى المناصب التى تولاها فى الحكومة اليابانية نتيجة لاتصالاته وخبرته الواسعة بالشئون اليابانية والتى مكنته بالتالى من الاطلاع على كل ما يتعلق بها وافادة الشبكة به مع تأجيل الانجازات التى حققها – والتى تؤكد نفس الاتجاه – الى حين التعرض لما حققته الشبكة بصفة عامة من مكاسب ، وأهم هذه المناصب :

- **سكرتير أول مجلس الوزراء اليــابانى (المستشار الادارى الخاص لرئيس الوزراء وهو أعلى منصب استشارى باليابان) .**

- **مستشار اللجنة الوزارية التى تشرف على العلاقات الصينية واليابانية .**

- **رئيس ادارة مبــاحث سكك حديد منشوريا الجنوبيــة . « وقد كان ذلك يخول له الاشراف على تقارير المخابرات الواردة من منشوريا ، ومعرفة أى قرار يابانى محتمل لغزو سيبيريا) .**

- **وهناك شيئان آخران لا يعتبران مناصب حكومية بالمعنى الشائع ، ولكنهما حققا نفس التســهيلات التى أفادت الشبكة وهما اشــتراكه بصفة دائمة فيما كان يعرف حينئذ بجماعة الافطار (تتكون من رئيس الوزراء وكبار رجال الحكومة الذين يتشاورون فى أدق الشئون اليابانية) فضلا عن عضويته فى هيئة تحرير الجريدة اليابانية الواسعة الانتشار** Asah Shimbum .

فوكولويتش :

يشترك فوكولويتش وكان ضابطا سابقا فى الجيش اليوغوسلافى ـ مع سورج وأوزاكى فى اتخاذ العمل الصحفى ساترا لهم ، فقد كان مراسلا لجريدة La Vue الفرنسية و Politicia اليوغوسلافية · ويتميز الدور الذى قام به فى الشبكة بأهمية خاصة حيث تولى شئون التصوير الفوتوغرافى بكل متعلقاته ، فضلا عن حصوله على منصب مراسل وكالة الأنباء الفرنسية الرسمية **(هافاس)** فى طوكيو وهو مركز شـبه دبلوماسى فى السفارة الفرنسية أتاح له القيـام باتصالات واسعة بأعضاء السفارات الفرنسية والبريطانية والأمريكية لمعرفة آراء بلادهم تجاه الأحداث السياسية والعسكرية المعاصرة ·

وقد ازدادت قيمة هذه الاتصالات بازدياد الثقة التى حظى بها فوكولويتش لديهم والتى نبعت من اعتقادهم بأن له نفوذ واسع بين الأوسـاط المختلفـة ، يمكنه من الادلاء بالآراء والتوقعات التى أثبتت الوقائع اللاحقة لها صدقها · والواقع أن هذه الثقة كانت نتيجة لمجهودات الأعضاء الآخرين الذين أمدوه عن عمد ببعض المعلومات الصحيحة التى حصلوا عليها من ملفات الوزارة اليابانية لتدعيم مركزه بينهم وتمكينه بالتالى من الحصول على معلومات ذات قيمة فى مقابل تلك التى يدلى بها ، عملا بالمثل القائل « **العميل الناجح هو الذى يكون نفسه مصدرا للمعلومات** » ·

كلاوســن :

اختلف الساتر الذى اتخذه كلاوسن لاخفاء حقيقة نشاطه عن مثيله لدى جميع الأعضاء الآخرين ، فقد حبذ رؤساؤه أن يعمل فى ميدان الأعمال الحرة ، تمهيدا لقيامه بدور أساسى فى الشبكة وهو الاتصـال اللاسـلكى بالأجهزة المركزية فى الاتحاد السوفييتى · وقد تم اختياره لهذه المهمة من بين كثيرين غيره نظرا لأنه كان بالفعل أكفأ عامل لاسلكى لدى المخابرات السوفييتية · وكان سورج وراء الاصرار على اختياره رغـم زواجه من احـدى الروسيات البيـض المعاديات للنظام الشيوعى ·

نجح كلاوسن فى تقديم خدمات طيبة فى كلا العملين الذين تولاهما ـ فبالاضافة الى نشاطه وابتكاراته فى ميدان الأجهزة اللاسلكية ، والتى سهلت وسائل نقل المعلومات التى تم الحصول عليها وادماجه حسابات الشبكة ضمن

ميزانيات أعماله التجارية ، قام بالاشنراك مع باقى أعضاء الشبكة بانشاء شركة مزودة بمطابع وآلات ألمانية استطاعت الحصول على حق كتابة مطبوعات الحكومة اليابانية وطبع خرائطها البحرية وكثير من التصميمات السرية الأخرى وهـو ما سيتبين لنا بالتفصيل عند التعرض لانجازات الشبكة .

ميـــاجى :

كان مياجى فنانا يابانيا هاجر الى الولايات المتحدة حيث فوجىء هنـاك بالفوارق الشاسعة فى مستويات المعيشة بين الطبقات المختلفة الأمر الذى اجتذب فكره نحو المبادىء الشيوعية وجعله يتحمس لها – وأسفر ذلك فى النهاية عن التحاقه بالحزب الشيوعى الأمريكى . وأدركت المخابرات السوفييتية نتيجـة للنشاط الذى مارسه فى صالح موسكو ولجنسيته اليابانية أنه يصلح بدرجة كبيرة لخدمة أهدافها فى اليابان ، حيث كان يندر توفر نظير له بين فئات الشعب هنـاك .

استمر مياجى فى عمله القديم لأنه أتاح له اقامة اتصالات واسعة بعدد كبير من اليابانيين ذوى النفوذ ، بما فى ذلك كبار ضباط القوات المسلحة اذ حازت لوحاته شهرة كبيرة نظرا لدقتها وارتفاع مستواها وهو ما كان له أثر كبير فى خدمة أغراض الشبكة سواء بالحصول على معلومات جديدة أو تأكيد معلومات أخرى أو استكمال النقص عن ثالثة .

ويظهر بوضوح مما سبق أن السواتر التى اتخذها أعضاء الشبكة الرئيسيون كانت جيدة وان كان قد بقى شىء آخر يعادل ذلك فى الأهمية ويرتبط فى نفس الوقت بهذه السواتر ، وهو تبرير المقابلات الدائمة التى كانت تتم بينهم لعدم اجتذاب أنظار أجهزة مقاومة الجاسوسية ، أو شكوك أعضاء السفارات الغربية . وقد نجحوا فى أن يجعلوا هذه المقابلات تتخذ طابعا عاديا وذلك على الوجه التالى :

- **اجتماع الصحفيين الثلاثة (سورج وأوزاكى وفوكوليتش) فى الأماكن التى يرتادها عادة الصحفيون والفنانون ، وايهام الآخرين أن صداقتهم ومقابلاتهم المستمرة جاءت نتيجة لاشتراكهم معا فى امتهان العمل الصحفى .**

- **تدبير اجتماعات بين الصحفيين الثلاثة وبين كل من ميـاجى وكلاوسن فى بعض المتاحف اليابانية والحفـلات الرسمية للسفارة الألمـانية بحيث تبدو**

انها نتيجة للمصادفة البحتة التى تطورت بعد ذلك الى صداقة وطيدة ، خاصة وان كلاوسن كان يتردد دائما على السفارة الألمانية بحكم جنسيته ومهنته ، كما كان مياجى يجيد الفن اليابانى الذى يقدره باقى أعضـــاء الشـــبكة ٠

- **اقامة حفلات ساهرة فى منزل سورج بعد اجتياز المراحل التمهيدية لذلك والتى كانت تتم فيها دراسة كل ما يتعلق بالشبكة وادارة شئونها ٠**

الاحتيـــــاجات :

تقوم أى شبكة للجاسوسية دائما بتلبية قائمة بالاحتياجات المحددة التى يضعها المشرفون عليها وفقا للظروف المختلفة للدولة التابعين لها ٠ وبالنسبة للشبكة السوفييتية فى اليابان فان الاحتياجات التى كلفت بتحقيقها تجد تفسيرا لها فى ظروف التطور التاريخى للعلاقات بين الدولتين ـ كما تنبع أهمية التعرض لها من كونها تمهيدا ضروريا لما سيرد بعد ذلك عن الانجـازات التى حققتهـا الشبكة ، ويمكن ايجاز أهم هذه الاحتياجات فيما يلى :

- **معرفة ما اذا كانت نوايا اليابان تتجه نحو غزو الأراضى السوفييتية الآسيوية والنوايا الحالية والمستقبلة للحكومة اليابانية تجاه مصالح الاتحاد السوفييتى الأخرى ٠**

- **الحصول على أية معلومات تتعلق بالقوات المسلحة اليابانية البرية أو البحرية أو الجـوية ، ســواء من حيث التسليح أو التعــداد أو المواقع أو الامدادات والتموين فضلا عن مدى تأثيرها على سياسة الدولة الداخلية والخارجية ٠**

- **الصناعات الثقيلة فى القطاعات المختلفــة ، ومنتجاتها ومواصفاتهـا الفنية واحصائيات انتاجها وتطورها وعلاقاتها بالصناعات الحربية ٠**

- **موقف اليابان من الصين ومنشوريا والتحركات المختلفة لقواتها هناك ٠**

- **العلاقات الألمانية اليابانية وأوجه التقارب بين الدولتين ٠**

- **تطور العلاقات بين اليابان وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا ٠**

اجــراءات الأمن :

اتبعت الشـبكة الخطوط الرئيسية لاجراءات الأمن التى تطبقهـا الأجهزة المختلفة للمخابرات السوفييتية الا أن الظروف الداخلية والخارجية التى أحاطت بعملها فى اليابان حتمت عليها التشدد فى تطبيقها وبالفعل نجحت بفضـــل اجراءات الأمن التى اتخذتها فى أن تستمر فى العمل لمدة ثمان سنوات كاملة من ١٩٣٤ وحتى ١٩٤٢ دون أن يكشف أمرها وأن تكون الشبكة الوحيدة التى مارست نشاطا ناجحا ضد أمن اليابان منذ المراحل الأولى لتاريخها وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية ٠

الانجـــــازات :

اكتسبت الشبكة أهميتها من كبر حجم الانجازات التى حققتها والتى فاقت جميع أعمال أجهزة المخابرات الأخرى خلال الحرب العالمية الثانية ٠ وقد استمر أعضاؤها فى تحقيقها بصفة مستمرة منذ اللحظات الأولى لتكوينها حتى صباح اليوم الذى قبض فيه عليهم ٠ وقد تميزت هذه الانجازات بارتفاع مستواها بدرجـة غير عادية (**وثائق مجلس الوزراء اليـابانى ـ المطبوعات والكتالوجات الفنية السرية ـ تقارير المخابرات اليابانية**) وتعددها وشمولها لعدد كبير من الموضوعات الهامة ٠ (**سياسة اليابان تجاه الاتحاد السوفييتى ـ علاقاتها بكل من الصين وألمانيـا والولايات المتحـدة وبريطانيا ـ معـلومات خاصة باليابان نفسها ٠٠٠**) لذلك فان تناولها لا يخلو من فائدة على ضوء الاعتبارات السابقة وكنموذج لما يمكن أن تحققه المخابرات من مكاسب لأى دولة تعرف كيف تستغل هذا الميدان الهام فى صالحها وفيما يلى أهم هذه الانجازات :

- **حصول أوزاكى على البرنامج الذى أقرته الوزارة اليابانية والذى يوضـح بالتفصـيل الخطوط الرئيسـية لسياسة اليـابان فى المجالات السياسية والاقتصادية خلال سنة لاحقة ٠ (تأكد سورج من صحته بالاتصال بالسفير الألمانى فى طوكيو) وقد أوضحت هذه الوثيقة أن النوايا التوسعية اليابانية لا تتجه نحو الاتحاد السوفييتى خلال عامى ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ بل تجاه غزو الأراضى الصينية ، كما أشارت الى بعض الحقائق المتعلقة بعـلاقة اليابان بألمانيا وانجلترا والولايات المتحدة وفرنسا ٠ وقد أسفرت المعلومات التى احتواها هذا البرنامج عن :**

١ ـ تغيير بعض الخطط العسكرية السوفييتية فى سيبيريا وتدعيم الخطط الدفاعية فى الغرب •

٢ ـ تغطية جانب هام من العلاقات بين الدول الكبرى التى يهتم بها الاتحاد السوفييتى ، واستخدام سورج وفوكولويتش لهذه المعلومات فى توثيق صلاتهما مع السفارات الغربية على أساس أنهما وثيقى الصلة بالمصادر الموثوق بها •

◉ ابلاغ موسكو بتاريخ استيلاء الجيش اليابانى على السلطة فى فبراير ١٩٣٦ أى قبل حدوثه بنحو شهر حيث كانت العاصمة الوحيدة التى لم تفاجأ بذلك وابلاغها فى نفس الوقت بتوقيت الغزو اليابانى للصين •

◉ الحصول على تفاصيل المحادثات بين ألمانيا واليابان حول عقد اتفاقية عسكرية بينهما ، ورغبة الأولى فى عقد تحالف مع طوكيو ضد الاتحاد السوفييتى ثم الحصول بعد ذلك على النصوص الكاملة لهذه الاتفاقية بعد ٤٨ ساعة فقط من التوقيع عليها ، وقبل تقديمها للوزارة اليابانية وللقيادة العليا الألمانية ويلاحظ فى هذا الشأن أن كل من سورج وأوزاكى ومياجى قد تعاونوا فى الحصول على هذه المعلومات الأول عن طريق السفير الألمانى والملحق العسكرى والثانى بواسطة رئيس الوزراء والأخير بالاتصال بكولونيل بالجيش اليابانى •

◉ تزويد موسكو بتقارير عن الفرق اليابانية التى أعيد تنظيمها فى الصين ومنشوريا واليابان وعن برنامج اعادة تكوين الأسطول اليابانى والتركيبات الجديدة بالسفن الحربية •

◉ التعرف على التصميمات الحديثة للدبابات ، وتشكيلات الطائرات الجديدة فى الأسراب التى كونت حديثا ومدى قوتها •

◉ تزويد موسكو عن طريق الشركة التى كونها كلوسن بالاشتراك مع باقى أعضاء الشبكة بمطبوعات وكتالوجات الحكومة اليابانية الخاصة بالآلات الصناعية والأسلحة الجديدة وجداول الآلات اللازمة للطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل وخرائط البحرية •

◉ تحذير الاتحاد السوفييتي من الهجوم الألمانى على أراضيه فى يونيو ١٩٤١ . ويلاحظ أن التوقيت الذى قدرته الشبكة يقل بيومين فقط عن التاريخ الحقيقى للغزو ٠

◉ المساهمة فى الحيلولة دون هزيمة الاتحاد السوفييتى أمام ألمانيا بعد تزويد موسكو فى الوقت المناسب بمعلومات هامة عن التحركات الألمانية وكذا قرار الحكومة اليابانية بالتوسع نحو الجنوب وصرف النظر نهائيا عن مهاجمة الاتحاد السوفييتى نتيجة للضغط الذى مارسه قواد الجيش والبحرية عليها « نشير الى ما جاء فى مقدمة الفصل الثالث عن أثر هذه المعلومات فى نجاح خطط الدفاع السوفييتية » ٠

تقييم أعمـــال الشـــبكة

لا حاجة بنا لتأكيد نجاح الشبكة مرة أخرى ، الا أننا نرغب فى ايضاح عدة حقائق على جانب كبير من الأهمية وهى أن هذا النجاح جاء نتيجة لتفاعل مشترك من جانب جميع أعضائها Team Work فى سبيل تحقيق الأهداف المحددة ، وللتخطيط الجيد الذى تميزت به مراحل اعدادها وتنفيذها ، واجراءات الأمن التى صاحبت تحركات أفرادها ٠

الدور الذى لعبته الظروف المواتية :

وهناك شيء آخر ساعد كثيرا على نجاح الشبكة وأفضل تخصيص حيز مستقل له نظرا لأهميته النسبية ألا وهو الظروف المواتية التى وقفت الى جانب الشبكة فى كثير من المواقف التى كان من المتوقع أن تؤدى الى اكتشاف أمرها والقبض على أعضائها أو عدم حصولها على هذا العدد الكبير من الوثائق والمعلومات لولا تدخل تلك العوامل فى صالحها ٠ ومن الجدير بالذكر فى هذا الشأن القول المأثور الذى يتداوله العاملون فى ميدان المخابرات ومؤلفى كتب الجاسوسية وهو **(ان آلهة الحظ هى أهم عميل سرى فى جميع ادارات المخـابرات)** والذى يبين بوضوح الدور الهام الذى يمكن أن تقوم به الظروف المواتية فى خدمة أى جهاز للمخابرات ٠ وبالنسبة لشبكة سورج فان هذه العوامل خدمت الى حد بعيد أهدافها ــ ويؤيد هذا الرأى الأدلة التالية :

◉ عدم تحرى الجستابو عن النشاط السـابق لسورج عنـد قبوله عضوا فى الحزب النـــازى ، أو قسم الصحافة التابع للحزب ، أو حين تولى منصب رئيس ادارة الاستعلامات فى السفارة الألمانية ـ ومن الواضح أن أى محاولة دقيقة من جانب الأجهزة الألمانية فى هذا الاتجاه كانت ستسفر بالتأكيد عن كشف ميوله اليسارية ونشاطه الواسع فى خدمة فرع الحزب الشيوعى الألمانى بهامبورج • وبالتالى وضعه تحت المراقبة المستمرة والتى لا بد أن تكشف حقيقة عمله فى اليابان •

◉ عدم اكتشاف الكمبتاى (الجهاز الرئيسى لمقاومة الجاسوسية باليابان) أو أى مواطن يابانى لديه وعى كاف لحقيقة محتويات حافظة النقود التى فقدت من أحد أعضاء الشبكة (كلوسن) والتى كان من بينها رسالة ينوى ارسالها الى موسكو وتكفى لادانة نشاط جميع أعضاء الشبكة •

◉ تأخر الأبحاث الفنية اليابانية الخاصة بأجهزة تحديد الاتجاه • والتقـاط الرسائل السرية وكسر الرسائل المشفرة ، مما أعطى لأعضاء الشبكة حرية واسعة نسبيا فى استخدام الأجهزة اللاسلكية لمدة طويلة لم يحد منها سوى استعانة الكمبتاى بالخبرة الفنية الألمانية فى هذا المجال •

◉ التزام الملحق الدبلوماسى الألمانى أوتوميسنر (مؤلف كتاب الرجل ذو الوجوه الثلاثة) بالعهد الذى قطعه على نفسه أمام احدى الأميرات الروسيات بعدم ابلاغ السلطات الألمانية بما لاحظه عن تعنيف سورج لها ومدافعته بشدة عن الشيوعية أمامهـا • وكان فى استطاعته ابلاغ السفير الألمانى ورئيس الجستابو بالسفارة عن الحادث مما يؤدى الى اتخاذ الاجراءات التى تتبع فى العادة فى مثل هذه الحالات • ويقول ميسنر فى هذا الشأن « لن أنسى أبدا أنى أضعت فرصـة عن غير قصـد لكى أكشف السـتار عن مجموعة من الجواسيس لا تبارى فى جدارتها وجرأتها • ولكن سـورج بدا وكأن الحظ يلازمه حتى فى نزواته التى يمكن أن تؤدى بأى شخص آخر أقل حظا منه الى موارد التهلكة » •

◉ بقى عامل أخير فى هذا المجـال يعتبر فى جانب كبير منه نتيجة للتخطيط الواعى لأعضاء الشبكة الا أنه يتعلق أيضا بالظروف المواتية ، وهو تولى معظم هؤلاء الأعضاء لمناصب حساسة فى الحكومة اليابانية ، أو فى الشركات التى تتعامل معها ، أو نجاحهم فى عقد صلات على أعلى المستويات الأمر الذى كفل للشبكة مصادر كثيرة للمعلومات وأتاح لها وسائل التحذير المبكر ، سواء بالنسبة لحمايتها أو تأمين نشاط الدولة التى تعمل فى خدمتها •

وهناك أمر آخر يتعلق بتقييم أعمال الشبكة ، وهو الأسباب التى أدت الى القبض على أعضائها ، ونبادر الى القول بأن ذلك قد تم بعد تحقيقهم لجميع الأهداف المحددة واستعدادهم بالفعل للسفر خارج اليابان ، الا أن ذلك لا يحول دون الاشارة الى جهود الكمبتاى ـ كأحد العوامل الهامة التى أدت الى كشف نشاط الشبكة ٠

نشاط أجهزة مقاومة التجسس :

لا يعنى نجاح الشبكة فى استمرار مزاولتها لنشاطها خـلال هذه الفترة الطويلة انعدام فاعلية أجهزة مقاومة الجاسوسية باليابان ، أو نجاح أى شبكة أخرى للجاسوسية فيما توصلت اليه الشبكة السوفييتية أو حتى مجرد ممارسة أى نشاط ملموس فى هذا المجال ويثير ذلك ثلاثة أسئلة هامة وهى :

١ ـ ما هى الأسباب التى أدت الى النجاح الكبير الذى حققته شبكة سورج فى نفس الميدان الذى فشلت فيه بعض أجهزة المخـابرات الأخرى خاصـة الأمريكية ؟

٢ ـ كيف حققت مثل هذا النجاح رغم ما هو معروف عن كفاءة أجهزة المخابرات اليابانية بصفة عامة وأجهزة مقاومة التجسس بصفة خاصة ؟

٣ ـ ما هو النشاط الذى مارســته الكمبتاى وأدى فى النهاية الى القبض على أعضاء الشبكة ؟

ويجد السؤال الأول تفسيرا له فيما يلى :

◉ ما سبق أن تناولناه عن السواتر التي اتخذها أعضاء الشبكة ، ومدى تغلغل الشبكة فى أوساط الحكومة والسفارات الأجنبية ، واجراءات الأمن التى اتبعتها والظروف المواتية التى حالفتها ٠

◉ احجام أجهزة المخابرات التى لدولها مصالح باليابان عن ممارسة نشـاط حقيقى بها ، خشية اكتشافه من جانب أجهزة مقاومة التجـسس وتعرض أعضائها للمصير الذى واجهه بعض من قام بمحاولات جدية فى هذا الاتجاه

(القبض على كولونيل أمريكى وقتله وحرق جثته بعد سفره الى احـدى الجزر الخاضعة لنظام الانتداب اليابانى لجمع معلومات عما فيها من منشآت سرية •••) •

◉ عدم اهتمام عدد كبير من الدول بالسياسة الداخلية أو الخارجية لليابان نظرا لعدم تأثر مصالحها بما تمارسه من نشاط خارجى أو ما يجرى فى داخلها من أحداث •

◉ اكتفاء بعض الدول بالحصول على المعلومات المتعلقة باليابان من المصـادر العلنية المعروفة (الصحف والمجلات والكتب والنشرات والداوريات والاذاعة). أو بالاعتماد على الوسـائل الدبلوماسـية الأخرى (استخدام سفاراتها ــ أو قنصلياتها) •

ويحيط بالسؤال الثانى وهو كيف حققت الشبكة مثل هذا النجاح رغم ما هو معروف عن كفاءة أجهزة المخابرات اليابانية بصفة عامة وأجهزة مقـاومة التجسس بصفة خاصة ــ بعض الصعوبة حيث يجمع بين شيئين على طرفى نقيض أولهما نجاح الشبكة السوفييتية فى تحقيق غالبية أهدافها والثانى ما هـــو معروف عن الكفاءة النسبية لأجهزة المخابرات اليابانية ، ويمكن فى هذا المجال ايضاح عدة حقائق على جانب كبير من الأهمية :

أولا : فشل أجهزة المخابرات اليابانية خلال المراحل الأولى للحرب العالمية الثانية فى ملاحقة التطور السريع والكفاءة العالية لتنظيمات المخابرات السوفييتية داخل اليابان وبالتالى تخلفها عن ملاحقتها واكتشافها فى وقت مبكر •

ثانيا : ان هذا الفشل لم يشمل من ناحية أخرى جميع المجـالات فى الداخل كما لا يمكن تطبيقه على أجهزة التجسس الايجابية التى حققت كمـا سنرى فى القسم الخاص بأعمال المخابرات اليابانية كثيرا من الانجازات القيمة •

ثالثا : لم يستمر هذا التقصير الى ما لا نهاية حيث أثبتت المخـابرات اليابانية حين نجاحها فى القبض على أعضاء الشبكة أن لديها الكثير مما يمكن عمله ضد محاولات اختراق أمن اليابان •

ويقودنا ذلك الى الاجابة على السؤال الأخير الذى يتعلق بالنشاط الذى قامت به الأجهزة اليابانية من أجل كشف الشبكة السوفييتية •

فحينما أدركت الكمبتاى وجود نشاط معادى تمارسه احدى شبكات الجاسوسية ضد أمن بلادها (التقاط أجهزتها الفنية لبعض الرسائل اللاسلكية المشفرة ـ تأكدها من تسرب بعض المعلومات السرية الى الخارج ...) نشطت اداراتها المختلفة لتتبع أى علامات تشير الى هذا الاتجاه ومن ثم معرفة العملاء الذين يقومون بهذا النشاط وجمع الأدلة التى يمكن أن تثبت ادانتهم ، وقد قامت فى سبيل تحقيق هذه الأهداف باتخاذ الاجراءات التالية :

- **تكليف عملائها فى الدول المختلفة بالبحث عما اذا كانت الدولة التى يعمل فيها كل منهم تعلم مقدما بأى معلومات خاصة بسياسة اليابان ، وذلك من أجل معرفة اسم الدولة التى يمكن أن يكون لها شبكة للجاسوسية تعمل باليابان وبالتالى التركيز على مراقبة مواطنيها المقيمين بها أو كل من له صلة بهم .**

- **التحرى عن الاتجاهات الماضية والحاضرة لجميع الأشخاص الذين يتمكنوا بحكم عملهم الرسمى من الاطلاع على قرارات الحكومة وخطط القيادة العامة للجيش سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . وقد أسفر ذلك بالفعل عن حصر كل من سورج وأوزاكى وفوكليتش ضمن المشكوك فى حقيقة نشاطهم وتضييق حلقات البحث حولهم ثم القبض عليهم فى النهاية .**

- **التزود بأحدث المعدات اللاسلكية الخاصة بالتقاط الرسائل وكسر الشفرة وتحديد الاتجاه واستمرار عملها ليلا ونهارا وتوسيع نشاطها ليشمل مناطق جديدة . وقد ساعد الارسال الكثيف الذى قامت به الشبكة خلال تحركات الجيش اليابانى فى منشوريا هذه الأجهزة فى جمع مزيد من الأدلة ضدها .**

- **تجنيد احدى الراقصات اليابانيات واستغلالها فى الكشف عن حقيقة نشاط سورج بعد ازدياد الشكوك حوله . وتعتبر هذه الوسيلة رغم قدمها ، ذات فعالية كبيرة وقد استخدمتها الكمبتاى بنجاح بعد دراسة فاحصة لعادات سورج الشخصية ، التى أوضحت امكان الحصول بواسطتها على نتائج كبيرة وقدمت الراقصة بالفعل الدليل النهائى الذى أدان سورج وهو الورقة التى لم يقم باتلافها جيدا وكانت تحتوى على ما يكفى للقبض على جميع أعضاء الشبكة . (حكم على اثنين منهم بالاعدام (سورج ـ أوزاكى) والباقى بالسجن لمدد متفاوتة) .**

الفصل الرابع

شبكة الأوركسترا الحمراء

تعتبر شبكة الأوركسترا الحمراء من أكبر وأنجح شبكات الجاسوسية خلال الحرب العالمية الثانية وقد امتد نشاطها ليشمل معظم الدول الأوروبية (ألمانيا ـ فرنسا ـ بلجيكا ـ الدنمارك ـ السويد ـ النرويج ـ تشيكوسلوفاكيا). وقد تميز هذا النشاط بالكفاءة والابتكار والجرأة كما طرق ميادين جديدة كانت تعتبر فى ذلك الوقت بالنسبة لأجهزة المخابرات المختلفة مجالات غامضة وغير مطروقة ٠

وقد كانت هذه الشبكة فى الحقيقة تتكون من عدة شبكات متداخلة أو منفصلة اتخذت كل منها احدى الدول الأوروبية مقرا لنشاطها ، ويمتد تاريخ هذا النشاط الى ما قبل نشوب الحرب العالمية الثانية وذلك فى اطار السياسة العامة لجهاز المخابرات السوفييتى الذى يحرص بصفة دائمة على تكوين شبكات تابعة له فى جميع الدول التى تهتم بها الحكومة السوفييتية أو التى يمكن أن تكون محل هذا الاهتمام فى المستقبل ، ونظرا لرغبة هذا الجهاز فى التنسيق بين نشاط شبكاته فى الدول المختلفة وتدعيمه وكفالة عدم تكراره أو تضاربه قام بتعيين رئيس عام لجميع هذه الشبكات (مدير مقيم) لتولى تنفيذ المهام المذكورة ٠ أما فيما يتعلق بالاسم الذى كانت تعرف به الشبكة حينئذ وهو الأوركسترا الحمراء فقد أطلقه عليها المسئولون فى أجهزة مقاومة التجسس الألمانية باعتبار أن أجهزة اللاسلكى التى استعملتها كانت تعرف بآلات البيانو ، كما كان الذين يستخدمونها من الشيوعيين ٠

واذا نظرنا الى العوامل المختلفة التى دفعت أعضاء الشبكة الى الانضمام اليها وخدمة أهداف الاتحاد السوفييتى لتبين لنا أن هناك عدة دوافع وقفت وراء هذا التحرك تمثل أهمها فى رغبة كثير من أعضائها اليهود فى المساهمة فى أى

عمل يؤدى الى هزيمة ألمانيا والقضاء على سياستها المعادية للسامية والتى كان من نتائجها تجريدهم من أملاكهم وتشريدهم وقتل كثير منهم وقد برزت فضلا عن ذلك عدة دوافع أخرى يمكن توضيح أهمها على الوجه التالى :

- **التشبع بالأفكار والاتجاهات الشيوعية والاشتراكية الأمر الذى دفع كثيرا من أعضائها الى الانضمام للأحزاب الشيوعية المحلية ٠**

- **كراهية أعضاء الشبكة من الألمان للنازية الناتجة عن الخوف من تأثير مبادئها المتطرفة وسياستها التوسعية على مصير الأمة الألمانية والرغبة فى الانتقام منها لتأثيرها السىء على المصالح الفردية لبعضهم أو الاساءة الى الكرامة الشخصية لآخرين (عانى أحد الأعضاء الرئيسيين من معاملة الجستابو السيئة طوال ثلاثة شهور ٠٠) ٠**

أهـداف الشـبكة :

توافقت أهـداف الشبكة بصفة عامة مع أهـداف الشبكات السوفييتية والبريطانية والأمريكية فى الدول الأوروبية الأخرى حيث تركز اهتمامها فى الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن كافة القطاعات الحيوية فى ألمانيا خاصة فى المجالات العسكرية وفى القيام ببعض عمليات التخريب المادى والمعنوى ضد القوات الألمانية فى الأراضى الأوروبية المحتلة ٠

وقد تميزت أهداف الشبكة فى المراحل المبكرة للحرب العالمية الثانية عن مثيلتها فى سويسرا بأنها تعلقت فى جزء كبير منها بالحصول على المعلومات الممكنة عن بريطانيا وفرنسا لأنهما كانتا تمثلان من وجهة نظر الاتحاد السوفييتى العدو الرئيسى له ، هذا فضلا عن اعتقاد المسئولين السوفييت وخاصة ستالين باحتمال حدوث مواجهة عسكرية شاملة بين ألمانيا من جانب وفرنسا وانجلترا من جانب آخر وبالتالى قلة احتمالات قيام ألمانيا بالهجوم على الأراضى السوفييتية أو على الأقل امكان تأخير تاريخ هذا الهجوم لأكبر وقت ممكن ٠

وقد أثبت المسئولون عن الشبكة رغم ذلك أنهم أقدر من ستالين فى مجال تقدير النوايا العدوانية لألمانيا وللحلفاء حيث استمروا فى حذر وعلى نطـاق محدود فى تجميع المعلومات المتعلقة بألمانيا كما قاموا بتنظيم فروع الشبكة فى الدول المختلفة بحيث تستخدم بسهولة فى المستقبل فى تجميع المعلومات اللازمة عن ألمانيا الأمر الذى ساعدهم بعد ذلك فى سرعة تحقيق المكاسب التى حصلوا عليها بعد اتجاه القوات الالمانية الى غزو الأراضى السوفييتية ٠

تنظيم ونشـاط الشـبكة :

تميز تنظيم الشبكة بالشمول والدقة وقد امتد ليشمل فرنسـا وألمانيا وبلجيكا وبعض الدول الأوروبية الأخرى ، ويعتبر هذا التنظيم بصفة عامة من أكبر وأدق التنظيمات التى عرفتها أجهزة المخابرات خلال الحرب العالمية الثانية والمراحل الزمنية السابقة كما يفوق مثيله فى الشبكات السوفييتية فى سويسرا واليابان والصين والدول الاخرى ، ولعل ذلك يرجع بصفة أساسية الى ما سبق ايضاحه من أن هذه الشبكة تضم فى نطاقها عدة شبكات كانت تعمل من قبل فى دول أوروبا قبل تعيين مدير مقيم لها جميعا ، هـذا فضلا عن اهتمام الاتحـاد السوفييتى بعد دمجه لمعظم هذه الشبكات فى واحدة بالعمل على تزويدها بأكفأ العملاء وزيادة عدد أعضائها ادراكا منه لأهمية المرحلة التى كانت تمر بها القارة الأوروبية حينئذ ومدى الثقل الذى تتمتع به فى المجالات السياسية والعسكرية وتأثير ذلك على مصالحه المختلفة ·

أما فيمـا يتعلق بالسـواتر التى اتخـذها أعضاء الشبكة لتغطية حقيقة نشاطهم وتسهيل جوانبه المختلفة فقد تعددت مجالاتها وكان بعضها متوافرا بالفعل بتأثير النشاط القديم لبعض أعضائها (**العمل الدبلوماسى ــ الدراسة فى الجامعات ــ الأعمال الحرة ــ العمل الصحفى ··**) الا أن المسئولين عن الشبكة اتجهوا الى البحث عن ساتر آخر يستخدمه معظم أعضاؤها ويتيح لهم فى الوقت نفسه مرونة وحرية كبيرة فى الحركة فضـلا عن تحويل اهتمـام أجهزة مقاومة الجاسوسية عنهم وقد تحقق ذلك بالفعل فى النشاط التجارى ·

لجأت الشبكة الى انشاء عدة شركات تجارية فى الدول الأوروبية التى كانت تحتل أهمية خاصة لدى الاتحاد السوفييتى كما أقامت فروعا لها فى عدة دول أخرى ، ومن بين الشركات التى تم استغلالها فى هذا الغرض شركتى سيمكسكو وسيمكس للتصدير والاستيراد وشركة الملابس الواقية من المطر وكان للشركتين الأولى والثالثة فروعا متعددة فى كثير من الدول الأوروبية (**فرنسا ــ ألمانيا ــ النرويج ــ الدنمارك ــ بلجيكا ··**) وقد حقق هذا الساتر بالفعل انجازات كبيرة للشبكة ، كما أتاح لها فضلا عن ذلك تمويل مصروفاتها الادارية المختلفـة بما فيها نفقات الانتقال وأجور العملاء وايجارات الشقق والمنازل التى تستخدمها الشبكة (**حـدث نفس الشىء أيضـا فى الشبكة السوفييتية باليابان حيث قام سورج وأعضـاء الشـبكة الآخرون بانشاء شركة تولت طبع الوثائق والخرائط**

والرسومات الفنية للحكومة والمؤسسات اليابانية وقد حقق لها ذلك الحصول على التفاصيل الفنية لبعض المشروعات السرية فضلا عن تحقيق أرباح استخدمت فى تمويل الشبكة) •

بقى أن نشير الى أن نشاط الفروع المختفة للشبكة فى فرنسا وبلجيكا وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية قد تداخل فى أجزاء كبيرة منه وأصبحت بعض العمليات الهامة لا تتم الا بالاتصال والتعاون بين الفروع المختلفة وقيام الأعضاء الرئيسيين بالانتقال الى هذه الفروع أو بعضها لتنفيذ هذه العمليات أو للاشراف على تنسيق أعمالها وتسيير شئونها المختلفة •

رئيس الشبكة :

وقبل أن نتعرض لتكوين ونشاط الشبكة فى الدول الأوروبية المختلفة يجدر بنا الاشارة الى جهود رئيسها ليوبولد تريبار فى تسييرها وادارة شئونها وخلق فرص النجاح المختلفة أمامها باعتباره من أهم العوامل التى أدت الى تحقيق الشبكة لهذا النجاح (**سنتناول الدور الذى قامت به الشخصيات الرئيسية الأخرى لدى التعرض لنشاط الشبكة فى الدول الأوروبية) •**

كان تريبار يهوديا من بولندة ويمتد تاريخ انضمامه للمخابرات السوفييتية الى ما قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بوقت طويل وقد استطاع بفضل ذكائه وحسن تصرفه وقدرته على مواجهة الظروف الطارئة فضلا عن ولائه للشيوعية كسب ثقة المسئولين فى الحكومة والحزب والمخابرات السوفييتية الى الحد الذى دفعهم الى تعيينه مديرا مقيما لكافة الشبكات السوفييتية فى دول غرب أوروبا . وتعتبر سياسة الحكم النازى المعادية لليهود أحد الدوافع التى حركت جهود تريبار للعمل ضد ألمانيا حيث وقفت على قدم المساواة مع الدوافع الأخرى ان لم تكن تفوقها وقد سعى للانتقام لبنى دينه وجنسه عن طريق مضاعفة نشاطه فى مجال الحصول على المعلومات التى تكفل فى النهاية هزيمة ألمانيا والقضاء على النظام النازى بها ، كما سعى أيضا الى تجنيد كثير من اليهود من ذوى الجنسيات المختلفة وضمهم للشبكة للعمل على تحقيق نفس الهدف •

وقد تميزت بعض أعمال تريبار بالجرأة والابتكار ومن أبرز الأمثلة على ذلك قيامه باستغلال صلاته بقنصل المجر فى بلجيكا (**كانت العلاقات بين ألمانيا والمجر طيبة**) فى اصطحابه خلال قيامه بتفقد أحوال رعايا بلاده فى فرنسا

بعـد اقنـاعه بأن متـابعة فروع شركة الملابس هنـــاك يقتضى ذلك ، وقد تم بالفعل تنظيم رحلة مشـتركة الى المنـاطق التى تدور فيهـا المعـارك بين القوات الألمانية والفرنسية ، وخلال هذه الرحلة قام تريبار بتعطيل السيارة المدنية التى كان يستقلها مع مرافقيه وانتقل الى سيارة ألمانية قامت بالانتقال عبر الخطوط الالمانية ومراكز الحشود الخاصة بها ، وقد تمكن تريبار خلال هذه الجولة من كتابة تقرير مطول عن استراتيجية هتلر فى الحرب الخاطفة وعن طرق تعزيز القادة الألمان لقواتهم وكيفية ادارتهم للمعركة والدور الذى كانت تقوم به قوات العاصفة للقضاء على الدفاع المضاد للمدرعات المعادية ٠

أما فيما يتعلق بتكوين ونشاط الشبكة فى الدول الأوروبية المختلفـة فسنتناول فيما يلى تنظيمها ونشاطها فى كل من فرنسا وبلجيكا وألمانيا نظرا لكونها أهم الدول التى اتخذت مجالا لتحقيق أهدافها ٠

تنظيم ونشاط فرع الشـــبكة فى فرنسا

احتلت فرنسا المرتبة الأولى من اهتمام المخابرات السوفييتية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى نظرا لقيامها بدور أساسى فى مناهضة النظام الجديد بالاتحاد السوفييتى وتمتعها بمكانة دولية كبيرة فى فترة ما بين الحربين الأمر الذى دفع موسكو الى تركيز نشاط أجهزة مخابراتها فيها معتمدة فى ذلك بصفة أساسية على الحزب الشـيوعى المحلى الذى يتمتع بنفوذ واسع فى الداخل وعلى العملاء الآخرين الذين استغلت الوسائل المعروفة فى تجنيدهم ، ورغم تحول الاهتمام الأساسى للأجهزة السوفييتية من فرنسا الى ألمانيا بعد تولى الحزب النازى للحكم عام ١٩٣٣ ـ استمرت الأجهزة السوفييتية فى الاهتمام بفرنســا والابقاء على نشاط عملائها فيها ٠

اتخذ المدير المقيم للشبكة (**تريبار**) من فرنســا مقرا رئيسيا لها نظرا لأهميتها وموقعهـا الجغرافى فى وسط دول غرب أوروبا (**التى تعتبر المجـال الأساسى لتحرك الشبكة**) وقد اعتمد فى تنظيمها على كثير من العملاء الذين كانوا مجندين بالفعل لصالح الاتحاد السوفييتى وينتمون الى الشبكات المختلفة التى كانت تمارس نشاطها فى ذلك الوقت ، فضلا عن العملاء الذين قام بتجنيدهم بالتعاون مع الأعضاء الرئيسيين للشبكة ٠

أما فيما يتعلق بالسواتر التى اتخذها أعضاء فرع الشبكة بفرنسا لتغطية حقيقة نشاطهم والعمل من خلالها على تحقيق الأهداف المحددة فقد انحصرت بصفة أساسية فى النشاط التجارى والعمل الصحفى ، وكان الساتر الأخير يستخدم بكثرة فى فترة ما قبل الحربين العالميتين نظرا لما يتيحه من مرونة وتغطية مناسبة لمن يمارسه وقد قامت المخابرات السوفييتية بالفعل بايفاد عدد كبير من العملاء الى فرنسا ليعملوا كمراسلين صحفيين كما قامت أيضا بتجنيد عدد من الروس البيض الذين هاجروا اليها للعمل فى نفس الميدان مستغلة استمرار ارتباطهم بالوطن الأم وعطف بعضهم على النظام الشيوعى الجديد **(خاصة بالنسبة للجيل الثانى من المهاجرين)** ٠

استمر بعض العملاء فى استخدام السواتر المختلفة بما فيها العمل الصحفى بعد تولى تريبار الاشراف على نشاطهم - الا أنه لجأ الى التوسع فى استخدام النشاط التجارى كساتر رئيسى نظرا لما يتيحه من اشراك أكبر عدد ممكن من العملاء فيه فضلا عن كفالة حرية الحركة والانتقال الى المدن والدول المختلفة لمباشرة الاشراف على فروع الشبكة (الشركات) فيها وتنفيذ أهدافها المختلفة ، وقام تريبار لذلك بالتعاون مع زملائه - بتأسيس شركة سيمكس للاستيراد والتصدير والتى اتخذت مقرا لها فى شارع الشانزيلزيه كما قام بفتح عدة فروع لها فى مرسيليا وعدة مدة أخرى ٠

قامت هذه الشركة بالتعامل مع السلطات الالمانية فى فرنسا لتنفيذ بعض الأعمال الخاصة بالقوات الألمانية كما تمكن تريبار وبعض العملاء الآخرين من الحصول عن طريقها على تصريحات رسمية لدخول المناطق الالمانية المحرمة والتى تشمل تحصينات ومبانى سرية الأمر الذى أتاح لفرع الشبكة فى فرنسا الحصول على معلومات هامة عن تحركات ومواقع القوات الألمانية فى الأراضى الفرنسية وخططها التكتيكية والاستراتيجية فضلا عن بعض الانجازات الأخرى التى سنتعرض لها بالتفصيل فيما بعد ٠

وكان من بين مجموعات العملاء السوفييت التى انتظمت تحت اشراف تريبار بعد توليه لمنصبه الجديد - مجموعة هنرى روبنسون **(كان مؤسسا لجمعيات الشباب الشيوعى فى فرنسا ورئيسا للقسم السرى فى الكومنترن)** وفاسيلى وأنا ماكسيموفيتش **(شقيقين أرستقراطيين من الروس البيض هاجرا إلى فرنسا مع والدهما حيث اعتنقا الشيوعية وعملا لصالح المخابرات السوفييتية)** وقد قامت هذه المجموعة بوضع عملائها من السياسيين وموظفى الحكومة والعمال

الفرنسيين والالمان في خدمة تريبار وقد تمكن الأخير بالتعاون مع هذه المجموعة وباقى أعضاء الشبكة من امداد موسكو بمعلومات هامة عن ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وذلك على النحو التالى :

◉ **اشتغال فاسيلي ماكسيموفيتش كمترجم لأحد القادة الألمان المتواجدين فى فرنسا وقيامه بنقل كل ما يراه أو يسمعه أو يصوره الى تريبار .**

◉ **قيام المذكور بخطبة احدى الألمانيات العاملات بمقر القيادة العليا الألمانية فى باريس وحصوله منها على جميع الوثائق السرية الخاصة بالقوات الفرنسية والألمانية فى فرنسا وسياسة الحكومة الفرنسية فى الداخل والخارج واتجاهات الرأى العام الفرنسى .**

◉ **افتتاح أنا ماكسيموفيتش التى كانت تعمل طبيبة للأمراض النفسية لاحدى العيادات فى المنطقة التى تقع بين الأراضى الفرنسية المحتلة وغير المحتلة وقد اتخذت هذه العيادة مقرا لاجتماع العملاء وتزويد من ليس لديه بطاقات تموينية بالمواد الغذائية . وقد تمكنت الشبكة بهذه الوسيلة من الحصول على معلومات هامة عن القوات الالمانية فى فرنسا وغيرها وكان من بين مصادرها بعض الضباط الالمان الذين كانوا يترددون على هذه العيادة واحدى الطبيبات التى تعمل بها (كان أخوها يشغل منصب مدير شئون اليهود فى فرنسا) .**

◉ **تعيين احدى الألمانيات (كاث فولكيز التى كانت تعمل بالرقص وقامت بزيارة موسكو بعد افلاسها حيث جندت فى المخابرات السوفييتية وتم تدريبها وارسالها الى فرنسا) فى منصب سكرتيرة لأحد المسئولين الالمان واستطاعت عن هذا الطريق تزويد الشبكة بمعلومات هامة عن القطاع الذى كانت تعمل به وعن اتصالات ومحادثات رؤسائها وزملائها .**

◉ **تغلغل الشبكة فى بعض الأوساط الألمانية والفرنسية الهامة وتمكينها من تعيين وتجنيد بعض الموظفين والفنيين فى تلك الأوساط ومن بينهم :**

١ ـ عميلان فى السنترال الألمانى بباريس وقد أمدا الشبكة بكثير من نصوص المحادثات التى أجريت بين برلين وباريس .

٢ ـ أحد المهندسين العسكريين الالمان وكان معاديا للنظام النازى وقد أمد تريبار بمعلومات هامة عن الهجوم الألمانى على الأراضى السوفييتية .

٣ – اثنين من المترجمين كانا يعملان فى هيئة موظفى القيادة الالمانية فى باريس وقد قاما بتحقيق مكاسب كبيرة للشبكة خاصة فيما يتعلق بالأنباء المتصلة بتسليح القوات الالمانية وتحركاتها ومواقعها .

أما فيما يتعلق بالوسائل التى كان يتم عن طريقها نقل المعلومات الى موسكو فقد انحصرت فى عدة طرق رئيسية أهمها :

◉ استخدام أجهزة اللاسلكى الخاصة بالشبكة فى فرنسا أو بلجيكا كوسيلة أساسية .

◉ ارسال المعلومات عن طريق أجهزة الحزب الشيوعى الفرنسى أو السفارة السوفييتية فى باريس ولم يكن يتم ذلك الا فى حالات الضرورة القصوى (استخدام تريبار جهاز اللاسلكى الخاص بالملحق العسكرى السوفييتى فى باريس فى ارسال المعلومات العاجلة المتعلقة بتاريخ غزو القوات الألمانية للأراضى السوفييتية) .

◉ حاملى الرسائل COURRIERS وكان هناك أحد الأفراد المختصين بنقل هذه المعلومات داخل وخارج فرنسا الا أن هذه الطريقة كانت تستخدم قليلا نظرا لعدم وجود تأمين كافى لها .

تنظيم ونشاط فرع الشبكة فى بلجيكا

يعتبر فرع شبكة الأوركسترا الحمراء فى بلجيكا من أهم وأكبر فروع الشبكة فى الدول الأوروبية وقد عاصر فى أولى مراحل انشائه تنفيذ الخطة السوفييتية الخاصة بالحصول على المعلومات المختلفة عن بريطانيا حيث اتخذت بلجيكا مقرا رئيسيا للنشاط الموجه اليها نظرا لموقعها الجغرافى القريب منها ، كما تميز هذا الفرع أيضا باسمرار نشاط أعضائه لفترة طويلة نسبيا بالمقارنة بالفروع الأخرى وتجدد نشاطه رغم القبض على كثير من أعضائه ، ومما ساعد على ذلك عدم تشدد القوانين البلجيكية الخاصة بالجاسوسية (قبل احتلالها من قبل ألمانيا) حيث لم تكن تنص على توقيع أى عقاب على الجاسوس الا اذا كانت

أعماله موجهة ضد بلجيكا نفسها ، هذا فضلا عن تمتع كثير من الشركات (ومنها تلك التى أنشأتها الشبكة) بالتسهيلات الخاصة بالاتصال البرقى أو التليفونى أو الشخصى بالدول الأوروبية المختلفة ٠

انحصر الساتر الأساسى الذى اتخذه أعضاء الشبكة فى بلجيكا فى النشاط التجارى حيث قام تريبار بالتعاون مع زملائه بانشاء شركة سيمكسكو للتصدير والاستيراد **(وهى تختلف عن شركة سيمكس فى فرنسا)** كما تم أيضا استغلال احدى الشركات التى تتولى صنع الملابس الواقية من المطر فى خدمة أهــداف الشبكة وتسخير كافة مرافقها لتحقيق هذه الأهداف فضلا عن اقامة فروع لها فى عدد كبير من الدول الأوروبية (ألمانيا ـ السويد ـ النرويج ـ الدنمارك) ونظرا لرغبة الشبكة فى الحيلولة دون اثارة الشبهات حول حقيقة نشاط هذه الشركة لم تقم بتعيين مديرها العام من أعضائها بل تم تعيين شخصا آخر هو جولس جاسيار والذى كان يتمتع بماض نظيف ومركز اجتماعى مرموق كما لم تكن له أية ميول شيوعية **(كان أخوه رئيسا لحكومة بلجيكا ـ عمل قنصلا لبلاده فى الهند الصينية والسويد والنرويج)** ٠

وقبــل أن نتعرض لنشاط الشبكة فى بلجيكا يجدر الاشارة الى بعض الشخصيات الهامة التى قامت بدور رئيسى فى تسيير هذا النشاط وتحقيــق الأهداف المحددة وهم على الوجه التالى :

فيكتور سوكولوف :

وهو طيار سوفييتى سابق اشترك فى الحرب الأهلية الاسبانية وكان يعتبر الساعد الأيمن للمدير المقيم وهو الذى قام بانشاء شركة سيمكسكو بالتعاون مع باقى أعضاء الشبكة وتولى تجنيد بعض العملاء وتنفيذ بعض العمليات فى فرنسا وألمانيا **(هبط فى الأخيرة بالبراشــوت وقام باعادة تنظيم فرع شــبكة الأوركسترا الحمراء هناك وتدريب أعضائها على الارســال اللاسلكى)** ٠ وكان سوكولوف يعتبر عامل اللاسلكى الأول بالنسبة لكافة فروع الشبكة حيث تولى ارسال كثير من الرسائل عن طريق جهازه الذى كان يخفيه فى مقر اقامته ولاشك أن تعدد الأسماء الكودية التى كان يستخدمها بصــورة واضحة **(فنسان سبيرا ـ ادوارد كنت ـ كارلوس الامو ـ جورفيتش ٠٠)** يشير الى أهمية الدور الذى قام به فى الشبكة ٠

ليون جروشفوجيل :

وهو أحد رجال الأعمال البلجيكيين وكان معاديا للنازية (يهودى الديانة) وقد اعتنق المبادىء الشيوعية وكان من أهم مساعدى تريبار فى بلجيكا ، وقد قام بمعاونته فى تسخير شركة الملابس التى يملكها فى خدمة كافة أهداف الشبكة والاشراف على كافة أعمال التجسس التى تتم فى نطاق الشركة والقيام بتنفيذ بعض العمليات المتعلقة بها فى فرنسا هذا فضلا عن اعداد وتنظيم الأسماء الكودية والوظائف الوهمية الخاصة بأعضاء الشبكة ٠

كونستانتين يفراموف :

تولى رئاسة الشبكة فى بلجيكا بعد القبض على معظم أعضائها (باستثناء تريبار وسوكولوف ٠٠) وقد تمكن من تسيير شئونها لمدة ستة أشهر متخذا من الدراسة فى جامعة بلجيكا ساترا له ٠

قامت الشبكة عن طريق الشركتين المذكورتين وباقى عملائها بممارسة نشاطها لتحقيق أهدافها المحددة وذلك على النحو التالى :

- **اشتراك شركة سيمكسكو فى تنفيذ بعض المشروعات الخاصة بالقوات الألمانية فى بلجيكا مما مكنها من الحصول على المعلومات الفنية الخاصة بها والمعلومات الأخرى المتعلقة بهذه المشروعات ٠**

- **تعاون الشركة مع بعض المؤسسات الألمانية فى بلجيكا وبصفة خاصة منظمة تودت التى تعمل فى مجال اقامة المنشئات الحربية وذلك بهدف التسلل الى داخلها ومعرفة تفاصيل المشروعات التى تقوم بتنفيذها ٠**

- **قيام المسئولين عن هذه الشركة بدعوة القادة الألمان الموجودين فى بروكسل (من بينهم القائد العام) الى حفلات الاستقبال والعشاء التى تقيمها بصفة دائمة لهذا الغرض وتوفير سبل الراحة وكافة التسهيلات اللازمة لهم (خمور ـ نساء جميلات) الأمر الذى حقق للشبكة فضلا عن المعلومات التى حصلت عليها من الثرثرة المعتادة فى مثل هذه الظروف ـ تحويل أنظار أجهزة مقاومة التجسس عن الشركة لفترة طويلة نسبيا ٠**

◉ استقبال شركة الملابس وسيمكسكو للمعلومات المختلفة الواردة من فروعهما في الدول الأوروبية واعدادها للارسال الى موسكو فضلا عن توجيه عملائها في هذه الفروع والتنسيق بين نشاطهم •

◉ تجنيد عشرة عملاء ممن يعملون في الأجهزة الألمانية والبلجيكية الحيوية والحصول عن طريقهم على معلومات هامة عن المجالات التي يعملون فيها •

◉ تجنيد احدى البولنديات اليهود في الشبكة (صوفي بوزانسكا) وتكليفها بعد التأكد من اتجاهاتها المؤيدة للشيوعية والمعادية للنازية بتشفير الرسائل التي تبعث الى موسكو وقد أثبتت هذه العميلة أنها على مستوى المسئولية وتفوق في اخلاصها لمبادئها وللشبكة المدير المقيم نفسه وكثير من الأعضاء الآخرين حيث فضلت الانتحار عن الادلاء بأسرار الشفرة السوفييتية الى المخابرات الألمانية •

تنظيم ونشاط الشبكة في ألمانيا

تدل أعمال فرع الشبكة في ألمانيا وجنسية أعضائه (**فضلا عن أعمال وجنيسية سورج**) دلالة قاطعة على أن الالمان المعادين للنازية قد تسببوا بصفة أساسية في هزيمة بلادهم في الحرب العالمية الثانية ، وتقسيم الأمة الألمانية الى دولتين متنافرتين في الاتجاه والعقيدة والمصالح • فقد استطاعت هذه الشبكة الحصول على معلومات بالغة الأهمية عن نوايا وتحركات وتسليح القوات الالمانية الى الدرجة التي تمكنت فيها من معرفة الأوامر اليومية لقادة كثير من الفرق خلال غزو ألمانيا للأراضي السوفييتية •

تميز فرع الشبكة بألمانيا عن مثيله في معظم الدول الأوروبية الأخرى بأن الغالبية العظمى من أعضائه ان لم يكن جميعهم كانوا يتمتعون بالجنسية الالمانية ولعل ذلك يرجع الى :

◉ ممارسة الشبكة لنشاطها من داخل الأراضي الألمانية نفسها بالاعتماد على المصادر المختلفة التي اتيحت لها فيها ، وحرص المخابرات السوفييتية على أن يكون أعضائها من مواطني الدولة حتى يصعب اكتشاف حقيقة نشاطهم أو عدم تركيز الرقابة عليهم •

◉ **ادراك المسئولين السوفييت أن علاقاتهم الدبلوماسية مع ألمانيا كانت ستنقطع ان عاجلا أو آجلا تبعا للظروف التى كانت سائدة حينئذ وبالتالى فان تواجد الموظفين السوفييت (الدبلوماسيين وغيرهم) بألمانيا غلب عليه الطابع المؤقت • وقد سعى السوفييت نتيجة لذلك الى زرع عملاء لهم فى ألمانيا ممن يحملوا الجنسية الألمانية ، وتتمشى اتجاهاتهم بسبب أو لآخر مع موسكو ، باعتبارهم أقدر من يخلف السفارة والقنصليات السوفييتية فى جمع المعلومات عن ألمانيا •**

◉ **ما سبق توضيحه عن ازدياد الفئات المعارضة للنظام النازى وسعيها بشتى الطرق للقضاء عليه ولو بالحاق الهزيمة بألمانيا كخطوة نحو تحقيق ذلك •**

◉ **وجود حزب شيوعى قوى نسبيا بألمانيا وانتشار بعض الاتجاهات اليسارية بشكل ملحوظ بين بعض مواطنيها بتأثير النشاط المتزايد لهذا الحزب والآراء والقضايا التى طرحها كبار قادة الفكر الشيوعى والاشتراكى فى ألمانيا (كارل ماركس ، جوسن ، فلورهييم اللذين نادا بالغاء الملكية الفردية للأراضى الزراعية ـ فردناند لاسال الذى طالب بتدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية وأسس أول جمعية للعمال فى ألمانيا) مما أوجد مجالات واسعة أمام المخابرات السوفييتية لتجنيد من تشاء منهم •**

تكوين الشبكة :

بلغ عدد أعضاء الشبكة فى الفترة التى شهدت أوج نشاطها (**فى النصف الثانى من عام ١٩٤١ وأوائل عام ١٩٤٢**) نحو ٧٠ عضوا من مختلف فئات الشعب الألمانى (**موظفين ـ ضباط ـ جنود ـ عمال ـ مفكرين ـ فنانين •••)** وكان لبعضهم نشاط قديم لصالح المخابرات السوفييتية حتى قبل استيلاء الحزب النازى على السلطة عام ١٩٣٣ • وقد تصاعد هذا النشاط تدريجيا بسفور الاتجاهات التوسعية للحكومة الألمانية ، وازدياد الفئات المعادية لها ، وانضمام كثير منهم الى الجمعيات العلنية والسرية التى تناهضها •

تبلور الشكل النهائى للشبكة فى ألمانيا قبل قطع العلاقات الدبلوماسية مباشرة بين ألمانيا والاتحاد السوفييتى أى قبل غزو القوات الالمانية للأراضى السوفييتية فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ وقد قام بالدور الأساسى فى هذا الشأن موظفى سفارة موسكو فى برلين بالتعاون مع الأعضاء الرئيسيين (**هارناك ـ شولز بويسن ـ كوكهوف ••**) وكان العامل المشترك بين جميع أعضاء الشبكة هو

الرغبة فى خدمة أهداف الاتحاد السوفييتى بشتى الطرق ، الا أن طبيعة الدوافع التى حركتهم ليسلكوا هذا الاتجاه هى التى اختلفت فيما بينهم كما وضح من قبل ٠

من أجل استكمال الحديث عن الجوانب الهامة لفرع الشبكة فى ألمانيا ، يجب الاشارة الى ثلاث ظواهر أساسية أحاطت بشخصيات وأعمال الأعضاء الرئيسيين أعطت لهم طابعا خاصا وان لم تكن جميعها فى صالحهم وهى على الوجه التالى :

- **التفانى فى ممارسة عملهم لصالح الاتحاد السوفييتى وعدم تقاضيهم أى مرتبات تذكر فى مقابل هذا العمل وقد تضافرت الدوافع الرئيسية المشار اليها فى دفعهم الى مضاعفة نشاطهم فى هذا الاتجاه ٠**

- **تغلغل بعضهم فى أعلى المناصب بالحكومة والجيش (وزارات الخارجية ـ الاقتصاد ـ العمل ـ الدعاية ـ قسم المخابرات التابع لسلاح الطيران الألمانى ـ بعض فروع المخابرات بالجيش ٠٠ الخ) وفى الأوساط الثقافية والفنية الراقية مما أتاح لهم مصادر وافرة وهامة من المعلومات عن بعض الشئون الحيوية لألمانيا ٠**

- **انخفاض مستوى كفاءتهم الفنية وقدرتهم على القيام ببعض الأعباء التى ألقيت على عاتقهم (اخفاقهم فى ايجاد اتصال لاسلكى مباشر ومستمر مع موسكو فى بعض الفترات ـ ضعف قدرتهم على تحويل الرسائل العادية الى أخرى مشفرة ـ عدم تمسكهم دائما باجراءات الأمن ٠٠) مما أدى الى التأثير فى فاعلية الجهود التى قاموا بها وتقصير الفترة التى استطاعوا خلالها ممارسة نشاطهم بعد أن أصبحوا هدفا سهلا لأجهزة مقاومة التجسس ٠**

الانجازات :

حققت الشبكة بما لا يدع مجالا للشك مكاسب كبيرة للاتحاد السوفييتى ساعدته على احراز انتصاراته الواسعة ضد ألمانيا وقد ساهمت هذه الانجازات فى الحد أولا من اندفاع الهجوم الألمانى فى الأراضى السوفييتية فى الشهور الأولى له ثم فى عرقلته فى المراحل الوسطى من الحرب والتسبب بعد ذلك فى انتصار الاتحاد السوفييتى على ألمانيا ٠ ولم تقتصر انجازات الشبكة على المجال

العسكرى فقط بل شملت أيضا المجالات السياسية والاقتصادية وسوف نشير فيما يلى الى بعض هذه الانجازات بالاضافة الى تلك التى تم التعرض لها خلال تناول نشاط الشبكة فى فرنسا وبلجيكا وألمانيا — للتدليل على مدى أهميتها :

- **تزويد موسكو بالموعد المحدد لغزو ألمانيا للأراضى السوفييتية •**
- **الحصول على معلومات تتعلق بالخطط التكتيكية والاستراتيجية للقوات الألمانية خلال هجومها على الأراضى السوفييتية ومواقعها أثناء المراحل المختلفة لهذا الهجوم والصعوبات المختلفة التى واجهتها خلال تنفيذها لهذه المراحل •**
- **ابلاغ موسكو بمدى قوة السلاح الجوى الالمانى وخسائره المتلاحقة والانتاج الشهرى لمصانع الطائرات والمعدل اليومى لانتاج البترول والمواد الكيماوية .**
- **تزويد المخابرات السوفييتية بمعلومات عن مواقع وتوقيت هبوط بعض كتائب جنود المظلات الألمان فى الأراضى السوفييتية وتحركات الوحدات البرية والجوية الأخرى •**
- **الحصول على التفاصيل الفنية لبعض الأسلحة الجديدة (عسكريةوكيماوية) .**
- **معرفة الاتجاهات الرئيسية للقوى المعارضة والخلافات داخل القيادة العليا الألمانية •**
- **القيام ببعض عمليات التخريب المادى والمعنوى ضد القوات الالمانية فى الأراضى الأوروبية المحتلة (ثقب البراميل الخاصة بالبترول — توزيع النشرات التى تستهدف التأثير على الروح المعنوية للجنود الالمان ••) •**
- **التسبب فى قتل ما يقرب من مائتى ألف جندى ألمانى عن طريق عملياتها الايجابية المختلفة •**

تقييم أعمال الشبكة

لا شك أن هناك عدة عوامل ساعدت الشبكة على احراز المكاسب الكبيرة التى حققتها وعلى استمرار نشاطها لفترة طويلة نسبيا واذا كانت بعض هذه العوامل ترجع الى التراث الطويل للمخابرات السوفييتية الذى يمتد تاريخه الى

عصور القياصرة وبالتالى الى دقة تنظيم واعداد فروع الشبكة فى الدول المختلفة فان هذه العوامل ترجع أيضا الى الكفاءة العالية التى اتسم بها الرئيس الأكبر تريبـــار وأعضـــاء الشـــبكة الرئيسيين (**ســـوكولوف ـ ماكسيموفيتش ـ جروشفوجيل ..**) هذا بالاضافة الى وجود دوافع قوية لدى كثير من الأعضـــاء (**معاداة النازية بتأثير سياستها المناهضة لليهود ـ اعتناق العقيدة الشيوعية**) والتى جعلتهم يضاعفون من نشاطهم لالحاق الهزيمة بألمانيا .

واضافة لما سبق فقد كان لاجراءات الأمن التى اتبعتها الشبكة أثر كبير فى استمرار نشاطها واتصالاتها لأطول وقت ممكن وتجديد مصادر معلوماتها بصفة دائمة وقد شملت هذه الاجراءات تنظيم الاتصالات والمقابلات الشـخصية بين الأعضاء وطرق نقل المعلومات داخل الشبكة وخارجها وادارة بعض أمور الشبكة الأخرى .

العوامل التى أدت الى القضاء على الشبكة :

هناك جانب آخر يتعلق بتقييم الشبكة وهو العوامل التى أدت الى القضاء على نشاطها وترجع هذه العوامل بصفة أساسية الى أخطاء الأمن التى ارتكبها الأعضاء والمشرفون على الشبكة فى موسكو ، ونشاط أجهزة مقاومة التجسس الألمانية .

أخطاء الأمن :

رغم احتياطات الأمن المشددة التى اتخذتهـا الشبكة والتزمت بها خـلال مراحل عملها المختلفة ارتكب المشرفون عليها فى موسكو فضـلا عن أعضائهـا الرئيسيين عدة أخطاء أدت فى النهاية الى اتاحة الفرصة أمام أجهزة مقـاومة التجسس لاكتشاف نشاطها والقبض على أعضائها فى فرنسا وبلجيكا وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية وتمثل الأخطاء التى ارتكبتها موسكو العامل الرئيسى الذى تسبب فى ايقاف نشاط الشبكة وتعتبر لذلك تقصيرا من جانبها لا تبرره الخبرة الطويلة لأجهزة المخابرات السوفييتية وانجازاتها الهامة فى هذا الميدان ويمكن ايضاح ذلك على النحو التالى :

- **تضمين موسكو أحد رسائلها اللاسلكية المرسلة الى فرع الشبكة بألمانيـا أسماء وعناوين وطبيعة نشاط ثلاثة من الأعضاء الرئيسيين بالشبكة ، وقد**

تمكنت المخابرات الألمانية من التقاط هذه الرسالة وحل شفرتها مما تسبب في القبض على كثير من أعضاء الشبكة في ألمانيا واعدامهم •

- **اصدار المركز الرئيسي في موسكو أوامر الى الشبكة بجعل فترة الارسال اللاسلكي اليه خمسة ساعات يوميا الأمر الذى أتاح وقتا كافيا أمام أجهزة تحديد الاتجاه الالمانية لمعرفة مواقع أجهزة الارسال الخاصة بالشبكة وتحديد أماكنها على وجه الدقة ثم ترتيب أمر القبض على أعضائها بعد استكمال كافة تحرياتهم عنهم وعن من له علاقة بهم • واذا كانت ضرورات الحرب وحرج موقف القوات السوفييتية في ذلك الوقت تعطى لموسكو بعض التبريرات في مواجهة هذا الموقف الا أنه اتضح بجلاء ضرورة التوفيق بين الاعتبارات المتعلقة بالحصول على المعلومات على وجه السرعة وتلك الخاصة بالمحافظة على استمرار مصادر هذه المعلومات وعلى أمن وحياة الأفراد الذين يعملون في خدمتها •**

نشاط المخابرات الألمانية :

قوبل نشاط شبكة الأوركسترا الحمراء في ألمانيا والدول الأوروبية الاخرى برد فعل شديد لدى هتلر وباقى المسئولين في الحكومة وأجهزة المخابرات الألمانية مما دفع المسئولين عن أجهزة مقاومة التجسس الى تركيز نشاطهم بصفة أساسية في محاولة تتبع نشاط هذه الشبكة والكشف عن أعضائها وعن طبيعة تحركاتهم واتصالاتهم المختلفة ، وقد نجحت هذه الأجهزة بعد جهد كبير في القبض على معظم أعضاء الشبكة (**خلال عامي ١٩٤١ ، ١٩٤٢**) في فرنسا وألمانيا وبلجيكا والدول الأوروبية الاخرى مستغلة في ذلك الخبرة الطويلة لضباط المخابرات الألمان ، وأخطاء الأمن التي ارتكبها أعضاء الشبكة والمشرفون عليها في موسكو وتقدم الأبحاث الفنية الالمانية الخاصة بأجهزة تحديد الاتجاه هذا بالاضافة الى وسائل التعذيب المعروفة التي استخدمتها الأجهزة الألمانية بكثرة في الحصول على اعترافات تفصيلية من جانب رئيس وأعضاء الشبكة عن العملاء الذين يعملون لصالح موسكو في المؤسسات الألمانية والبلجيكية والفرنسية وعن المجالات المختلفة لنشاط الشبكة •

الفصل الخامس

الشبكة السوفييتية فى سويسرا

تعتبر الشبكة السوفييتية بسويسرا من أهم شبكات الجاسوسية خلال الحرب العالمية الثانية سواء من حيث كمية المعلومات التى حصلت عليها أو قيمتها أو مدى تغلغل مصادرها فى الأوساط الحكومية والعسكرية الالمانية • واذا كانت هناك كثير من شبكات الحلفاء التى مارست نشاطا متزايدا ضد ألمانيا من داخل أراضيها أو من الدول المجاورة لها (**الشبكات الانجليزية فى الأراضى الواطئة والدنمارك وسويسرا ــ الشبكة الامريكية فى سويسرا وبعض الدول التى خضعت للاحتلال الالمانى**) فان الشبكة السوفييتية بسويسرا تأتى فى المرتبة الأولى بالنسبة لها من حيث مدى أهمية انجازاتها بصفة عامة ومساهمتها خاصة فى الانتصارات الحربية التى حققتها الدولة التى تنتمى اليها وهو ما سيتضح لنا خلال تناول أعمالها ونشاط الشبكات الأمريكية والبريطانية (**فى القسمين الثانى والثالث**) •

دوافع تكوين الشبكة فى سويسرا :

رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفييتى وسويسرا (**قطعت العلاقات بينهما منذ عام ١٩٢٢ ولم تستأنف الا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية**) وبالتالى عدم توافر هيئات أو أفراد تابعين لموسكو يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية ، ويمكن أن يقوموا مباشرة بانشاء وتشغيل شبكات للجاسوسية ، أو حتى القيام بدور مساعد لها (**اتضح بعد ذلك مدى أهمية تواجد هؤلاء الأفراد والمنظمات فى سويسرا لتقديم المساعدات المالية والفنية والحيلولة دون انهيار الشبكة فى وقت مبكر نسبيا**) • رغم ذلك حرص المسئولون بالمخابرات السوفييتية على أن تكون سويسرا فى مقدمة مراكز نشاطهم فى أوروبا نظرا للعوامل التالية :

◉ وجود حدود مشتركة بينها وبين ألمانيا والدول الاخرى التى سيطرت عليها (فرنسا ـ النمسا) مما يساعد شبكاتها على سهولة استقبال المعلومات التى ترد من مصادرها فى هذه الدول ، أو البحث عن مصادر جديدة فيها .

◉ توافر مصادر معلومات غزيرة داخل سويسرا نفسها من جانب الالمان المعادين للنازية أو الموالين للشيوعية أو الجواسيس المأجورين أو غيرهم .

◉ الحياد الذى تمتعت به وعدم توافر احتمالات مؤكدة لهجوم ألمانيا عليها نظرا للظروف الدولية والداخلية التى كانت سائدة حينئذ .

◉ عدم وضعها لقيود مشددة على نشاط شبكات الجاسوسية التابعة لدول الحلفاء بعكس الشبكات الألمانية التى قيدت نشاطها بالمقارنة بموقفها من شبكات الحلفاء .

◉ ما لمسه المسئولون السوفييت بعد ذلك من تعمد امداد سويسرا للشبكة السوفييتية بمعلومات حيوية عن ألمانيا لاعتقادها أن ذلك يخدم المصلحة العليا السويسرية (كانت الحكومة السويسرية تخشى من انتهاك ألمانيا لحيادها ، والاستيلاء على الأقاليم التى يقطنها المواطنون السويسريون الذين يتكلمون اللغة الالمانية وأدركت ـ لذلك ـ أن تأخر انهيار الاتحاد السوفييتى وتحول مجرى الحرب لصالحه سيحول دون شروع ألمانيا فى تنفيذ مخططاتها تجاهها) .

تكوين الشبكة :

يمتد تاريخ وجود الشبكة السوفييتية فى سويسرا الى ما قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ولم تأخذ شكلها الكبير الذى عرفت به الا بعد قيام الحرب وسفور نوايا ألمانيا التوسعية ، واتجاهها لتنفيذ مخططاتها لغزو الاتحاد السوفييتى ، ورغم ارتباط النشاط الحقيقى للشبكة بالظروف التى مرت بها العلاقات الالمانية السوفييتية ، الا أنه ارتبط أيضا بشكل أساسى بوجود ثلاثة أشخاص يعملون على رأس الشبكة ، حركوا أحداثها وصنعوا انجازاتها، وتسببوا بصفة جوهرية فى النجاح الذى وصلت اليه وهم الكسندر رادو (**المدير المقيم لها**) و وروسلر (**أهم مصادر المعلومات للشبكة**) ، والكسندر فوت (**الرجل الثانى بها**) لذلك سنتعرض بالتحليل لشخصياتهم وانجازاتهم وتأثيرهم على أعمال الشبكة .

رادو :

أول ما يفرض نفسه علينا عند الحديث عن الكسندر رادو AleXander Rado هو أنه لم يكن جديرا بمنصب المدير المقيم للشبكة واحتـلاله بالتالى للمركز الأول بين أعضائها وذلك على ضوء القواعد الأساسية لفن المخابرات ودقة اختيار الأجهزة السوفييتية لعملائها فرغم اتجاهاته الشيوعية ، ونشاطه المبكر فى خدمتها (**كان أحد قادة الثورة الشيوعية فى المجر عام ١٩١٨ وهاجر الى موسكو فى أعقابها وكلف بالقيام بمهام كبيرة لصالح الحزب والمخـــابرات فى فى السويد والنمسا وألمانيا وفرنسا**) فانه لم يرتقى الى المستوى الذى يحتمه عليه مركزه بالشبكة ، وطبيعة العمل السرى الذى يجب أن يغلف معظم أوجه نشاطه المتعلق بها ، ان لم يكن جميعها ، ويدل على ذلك :

- **اسرافه فى انفاق أموال الشبكة بغير تدبر ، مما أسفر أولا عن جذب اهتمام أجهزة مقاومة الجاسوسية الالمانية والسويسرية اليه ، وثانيا الى التعـجيل بوقوع الشبكة فى أزمة مالية كانت من بين الأسباب الرئيسية التى أدت الى توقف نشاطها فى وقت تعذر فيه امدادها بأية مساعدات من جانب موسكو أو الحزب الشيوعى السويسرى ٠**

- **احتفاظه بقوائم مصروفات الشبكة التى تكشف بوضوح تفاصيل نشاطها المالى .**

- **سهولة تقبـــله للاثارة وعـــدم قدرته على السيطرة على شعوره فى الأوقات الحرجة ٠**

- **تورطه فى اقامة علاقة مع احـدى عميلات الشـبكة ـ والتى كانت من أهـم الأسباب التى أدت الى كشف نشاط الشبكة وادانة أعضائها ٠**

- **عقد اتصالات بينه وبين زعماء الحزب الشيوعى السويسرى ومخالفة بعـض اجراءات الأمن الأخرى ٠**

ولا يعنى ما تقدم انعدام الفوائد التى حصلت عليها الشبكة من رئاسته لها أو انتفاء وجود جميع شروط العميل الناجح فيه حيث اتخذ ساترا جيدا لتغطية نشاطه كأحد مديرى وكالة متخصصة فى الموضوعات والخرائط الجغرافية مما أتاح للشبكة مصادر هامة للمعلومات ٠

روســلر :

يعتبر رودلف روسلر من أهم العملاء الذين عملوا فى ميـدان المخابرات خلال الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة وجميع المراحل التاريخية السابقة بصفة عامة سواء من حيث كمية المعلومات التى حصل عليها أو ارتفاع مستوى المصادر التى حصل منها على هذه المعلومات أو التقارب الزمنى لامداداته منها (**يوميا فى بعض الأحيان**) (١) .

وقبل أن نتعرض للانجازات التى حققها فانه من الضرورى تفسير الدوافع التى وقفت وراء قيامه بدور ملموس فى كسب الاتحاد السوفييتى للحرب ضد المانيـا .

لم يحرك هذه الدوافع عامل واحد فقط بل امتزجت عوامل العداء للنازية والرغبة فى الحصول على أكبر قدر من الأموال والميول اليسارية معا لتكون فى النهاية الدوافع التى تفسر موقفه وذلك على الوجه التالى :

---

(١) ولن يفوتنا فى هذا الشأن الاشارة الى ما ذكره كبار الكتاب والجواسيس عن روسلر .

- ذكر لاديسلاس فاراجو (مؤلف كتابى حرب الدهاء وتحرق بعد مطالعتها) انه من النادر ان يكون لجاسوس بمفرده اثرا حاسم على مجرى التاريخ ولكـن رودلف روسلر كان ذلك الرجل .

- اوضح رونالد سيث (مؤلف كتب فن الجاسوسية ، تاريخ الجاسوسية اليابانية ، الجاسوسية على المشرحة) بانه ليس من المبالغة فى شىء اذا قيـل ان الاتحـاد السوفييتى مدين بالنصر الذى احرزه على المانيا لروسلر اكثر من اى شخص آخر بما فى ذلك ستالين نفسه .

- اشار دافد ج. الن (فى كتابه الجاسوسية السوفييتية) الى ان روسلر لم يؤدى فقط اعمالا هامة فى الجاسوسية لعدة سنوات ولكنه كان ايضا من بين كبـار الجواسيس .

- ذكر الكسندر فوت (الرجل الثانى فى الشبكة السويسرية ومؤلف كتاب الموجز للجواسيس) ان اعمال روسلر هى التى مكنت الاتحاد السوفييتى من الانتصار على المانيا حيث ارسل الى موسكو معلومات عن موقف القوات الالمانية فى الجبهة الشرقية يوما بيوم .

- **يعتبر عدائه للنازية العامل الأساسي الذى دفعه للعمل ضدها . وقد اتخذ ذلك صورا عنيفة فى وقت مبكر نسبيا (كان يهاجمها باستمرار فى احدى الصحف المحلية ـ هاجر الى سويسرا بعد استيلاء قادتها على الحكم عـام ١٩٣٣ ـ أنشأ دار للطباعة فى لوسيرن تخصصت فى اصـدار المطبوعات المناهضة للنازية ..) بعكس كثير من الألمان الآخرين الذين تبلورت ميولهم العدائية تجاه النظام بعد تعرض الجيوش الألمانية للهزيمة ، وظهور احتمالات عدم كسبها الحرب وبالتالى تعرض مستقبل الأمة الألمانية برمتها للخطر .**

- **لا يستطيع أحد أن ينفى أن رغبة روسلر الشديدة فى الحصول على المال هى الدافع الهام الثانى الذى حرك أعماله وتدلنا المبالغ الشهرية الكبيرة التى حصل عليها من الاتحاد السوفييتى (١٧٠٠ دولار) على حقيقة هذا الرأى مما يثبت بالتالى عدم حرصه على التمسك بالولاء الكامل لموسكو والشيوعية كأساس للعمل من أجلها .**

- **يحرص بعض الكتاب الغربيين باستمرار على تأكيد أن نشاط روسلر لصالح الشبكة كان بناءا على أوامر وتحت اشراف السلطات السويسرية ـ الا أن انضمامه لعضوية جمعية كاثوليكية يسارية وحصوله على مبالغ طائلة من النقود ، فضلا عن قبض السلطات السويسرية عليه مرتين بتهمة الجاسوسية، يدل على أن هذا الرأى لا ينطبق على الواقع بشكل كامل ، بل يوضح أن هذا الاشراف كان ضمن الاطار العام الذى غلف موقف المسئولين السويسريين تجاه أجهزة المخابرات التابعة للحلفاء . ويتمشى رأى ألكسندر فوت (أحد الأعضاء الرئيسيين بالشبكة) مع هذا الاتجاه الأخير حيث لم يؤيد الرأى السابق بل أوضح أن روسلر ظل مخلصا للمسئولين السويسريين وللروس وأنه نظرا لحسن حظه لم تتعارض مصالح كلتا الدولتين .**

والى أن نتعرض بالتفصيل للانجازات التى حققها روسلر وباقى أعضـاء الشبكة نشير الى أن المعلومات التى حصل عليها الأخير فاقت جميع ما حصل عليه الأعضاء الآخرون مما أعطى له أهمية خاصة بينهم وجعل المشرفين على الشبكة فى موسكو يحرصون باستمرار على كسب وده بمختلف الوسائل .

فـوت :

حظيت شخصية وأعمال ألكسندر فوت بعناية خاصة من جانب المؤلفين الغربيين الذين تناولوا أعمال الشبكة السوفييتية فى سويسرا سواء من حيث تخصيص حيزا كبيرا نسبيا لأعماله فى عدد كبير من كتب الجاسوسية أو وصفهم له

بأكمل الصفات . (**كان أستاذا فى الجاسوسية ويتمتع بالصفات اللازمة للجاسوس الناجح وبقدرة فائقة على العمل المتواصل - يعتبر جاسوسا ممتازا من الطبقة الأولى يحسن التصرف والتفكير ولديه مقدرة كبيرة على استخلاص النتائج ومراعاة اجراءات الأمن** ..) .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الشأن هو هل يرجع السبب الأساسى فى ذلك الى تمتعه بالجنسية البريطانية وعدم تورطه فى عمل مضاد لبلاده أو لأى من حلفائها ؟ أم أن تلك الصفات التى أسبغوها عليه تجد لها أساسا من الواقع والحقيقة ؟

لا شك أن التتبع الواعى لما كتب عن أعمـال وشخصية فوت وتفـاصيل التجائه الى السلطات البريطانية بعد انتهاء الحرب ، يوضح أن الاتجاه الذى سار فيه الكتاب الغربيون يجد تفسيرا له فى كلا الأمرين معـا ، أى أنه كان بالفعل من الجواسيس السوفييت الذين يعتمد عليهم . وان عدم تورطه فى أى عمل ضد أمن بلاده كان له أيضا أثره الواضح فى أن تتسم الصورة التى أعطيت له بهذا الكمال وألا يقلل من قيمة بعض الأعمال التى قام بها كما حدث بالنسبة لأشخاص آخرين (**ألمان - فرنسيين - أمريكيين** ...) .

وقد كان الساتر الذى اتخذه فوت لتغطية حقيقة نشاطه هو شخصية رجل أعمال انجليزى متيسر الحال مقيم بسويسرا لا يجيد سوى الراحة والاستجمام ، وقد انحصر العمل الرئيسى الذى قام به فى تحويل الرسائل العادية التى ترسلها الشبكة الى موسكو الى أخرى مشفرة ثم ارسال معظمها عن طريق جهاز اللاسلكى الذى يخفيه فى مسكنه ، وفى تدريب عملاء الشبكة الجدد ، والحصول على معلومات من بعض المصادر وقد نجح فوت الى حـد كبير فى مراعاة القواعـد الأساسية للشخصية التى تقمصها الى الدرجة التى أدهشت كل من اتصل بهم أو تعامل معهم من سويسريين أو أجانب بعد الاعلان عن حقيقة نشاطه بواسطة سلطات الأمن السويسرية ، كما نجح فى أن يكون عامل اللاسلكى الأول بالنسبة للشبكة رغم وجود جهازين آخرين للارسال (**أرسل نحو ستة آلاف رسالة الى موسكو**) .

موقف السلطات السويسرية :

قبل أن نتعرض لانجازات الشبكة وتأثيرها على تغيير مجرى الحرب لصالح الاتحاد السوفييتى هناك جانب هام يجدر التعرض اليه بالمناقشة ، والتحليل وهو موقف السلطات السويسرية من نشاط الشبكة . ويثار حول طبيعة هذا

الموقف فى الواقع ــ كثير من التساؤلات كما تتسم بعض جوانبه بالتناقض • فيلاحظ أن بعض المصادر الغربية ترجع العامل الأساسى فى نجاح الشبكة الى الخدمات التى قدمتها السلطات السويسرية لها (**امدادها بمعلومات كثيرة عن طريق روسلر ــ غض النظر عن نشاطها داخل أراضيها لفترة طويلة نسبيا**) ويتفق فى هذا الرأى كل من دافيد ج• دالن ورونالد سيث • الا أن هذا الاتجاه اذا كان واقعيا فى بعض جوانبه الا أنه يبالغ فى تصوير المساعدات السويسرية للشبكة السوفييتية وفى تقليل الامكانيات الحقيقية لأجهزة المخابرات السوفييتية التى أثبتت كفاءتها وقدرتهــا على العمل فى دول وظروف عجزت أكفأ الأجهزة الأخرى عن العمل فيها (**شبكة سورج** ••) •

كذلك نشأت التناقضات المشار اليها من موقف كل من السلطات العسكرية بقيادة الجنرال جيسان (**القائد الأعلى للجيش السويسرى والذى كان له دور بارز فى الشئون الداخلية والخارجية لبلاده طوال فترة الحرب**) وسلطات الأمن الداخلية تجاه نشاط الشبكة ، فبينما كان جيسان وزملاؤه يسمحون لها بحرية العمل ويمدونها فى نفس الوقت بمعلومات وافرة عن القوات الألمانية بطريق غير مباشر وللأسباب السابق شرحها ــ سعت الأخرى فى اطار ممارسة نشاطها العادى الى محاولة الكشف عن حقيقة نشاط الشبكة السوفييتية والقبض على أعضائها ، ويمكن القاء بعض الضوء على أسباب هذا التناقض بالنظر الى :

- **تطرق عمل الشبكة الى الشئون الداخلية والخارجية الخاصة بسويسرا وعدم اقتصار نشاطها على ما يتعلق بألمانيا فقط مما دفع أجهزة الأمن الى التحرك للقبض على أعضائها •**

- **الحاح المسئولين بسفارة ألمانيا ببرن على هذه الأجهزة للقيام بذلك وتقديمهم لكثير من الأدلة التى تثبت ادانة أعضــاء الشبكة (كتــاب الشــفرة الذى يستخدمونه ••) •**

- **التنافس القائم بين أجهزة مقــاومة الجاسوسية التابعة لكل من المخــابرات الحربية الســويسرية وأجهزة الأمن الأخرى والذى دفع الأخيرة الى المبــادرة باكتشاف نشاط الشبكة دون التنسيق مع المخابرات الحربية •**

الانجــازات :

اذا كانت الشبكة السوفييتية باليابان قد نجحت فى الحيلولة دون هزيمة الاتحاد السوفييتى أمام ألمانيا ، والمساهمة فى تحقيق الانتصــار النهائى فى الحرب ، فان انجازات الشبكة السوفييتية بسويسرا قد جعلت من هذا الانتصار

حقيقة واقعة واذا تصورنا أن القادة العسكريين لدولة ما على دراية كاملة بمعظم الخطط التكتيكية والاستراتيجية لقوات الدولة المتحاربة ضدهم ، فاننا يمكن أن ندرك قيمة وشمول المعلومات التى حصلت عليها الشبكة السويسرية ومدى استفادة القوات السوفييتية بها ، وسنقتصر للتدليل على ذلك بالاشارة الى أهم الانجازات التى حققتها :

- **ابلاغ موسكو بالتاريخ المحدد لغزو ألمانيا للأراضى السوفييتية (٢٢ يونيو عام ١٩٤١) .**

- **معرفة كثير من الخطط الاستراتيجية والتكتيكية للقيادة الألمانية العليا .**

- **الحصول على معلومات تفصيلية عن قوة وتشكيل وتحركات القوات الألمانية بأسلحتها الثلاثة الرئيسية .**

- **الاسراع بتلبية الاحتياجات العاجلة التى ترسلها المخابرات السوفييتية عن بعض الشئون المحددة .**

القسم الثـانى

المخابرات الأمريكية

الفصل الأول

تأثير السياسة الأمريكية على أجهزة المخابرات

لا شك أن كبر حجم التأثير الذى تمارسه حاليا وكالة المخابرات المركزية على السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة ، ونشاطها الذى يغطى كافة أرجاء الكرة الأرضية ، ونفوذها الواسع الذى تمكن من تغيير مصائر كثير من الحكومات ، لا شك أن كل هذه الظواهر وما يتعلق بها من تنظيمات ومبادىء وأهداف وأشخاص ، تعتبر وليدة تطور طبيعى فى تاريخ المخابرات الأمريكية · الا أنه يجب أن نبادر الى اقرار حقيقة واقعة ، وهى أن الجزء الأكبر من هذا النظام قد تبلور بشكل أساسى فى ظل الظروف الطاحنة التى واجهتها خلال الحرب العالمية الثانية ، مما أكسبها فى الوقت الحاضر خبرات فنية كبيرة ، ودراية واسعة بالشئون الداخلية والخارجية لمعظم دول العالم ·

ولا يعنى ذلك أن أجهزة المخابرات الأمريكية كانت على مستوى الأحداث فى فترة ما بين الحربين وأوائل الحرب الثانية اذ نلاحظ أنها مثلها فى ذلك مثل البريطانية والفرنسية قد تخلفت عن ملاحقة التطور الكبير فى تنظيم وتمويل وأعمال أجهزة المخابرات الألمانية واليابانية مما كلفها الكثير من الخسائر فى الأرواح والعتاد ويعتبر حادث بيرل هاربور دليلا واضحا على ذلك ·

وكما هو معروف عن التأثير المتبادل للعوامل السياسية والاقتصادية ، على سياسة الدولة الداخلية والخارجية فى جميع دول العالم ، فان هذه العوامل تؤثر أيضا على الموقف العام لأجهزة المخابرات فى هذه الدول · وبالنسبة للولايات المتحدة فان سياسة العزلة التى اتبعتها فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، أسفرت عن ضعف مستوى أجهزتها فى فترة ما بين الحربين وأوائل الحرب الثانية حيث قامت هذه السياسة على أساس :

- **عدم الانضمام الى عصبة الأمم التى أنشئت عقب انتهاء الحرب الأولى ٠**

- **رفض التدخل فى المنـازعات الأوروبية لأنها ترجع فى رأيهـا الى التعصب المتطرف للقوميات والاعتقاد بأن اخلال التوازن فى أوروبا لا يضر بالأمن الأمريكى ٠**

- **اقتصار مساهمتها فى الشئون الدولية على حضور المؤتمرات الدولية الخاصة بنزع السلاح ، أو تحديده أو تلك التى تمهد لعقد اتفاقية دولية أو التى تتعلق بمنطقتى الشرق الأقصى والأوسط (كانت ولا تزال تهتم بهما نظرا لامكانياتهما الاقتصادية وموقعهما الاستراتيجى) ٠**

ومن جانب آخر فانه رغم توتر العلاقات بين الولايات المتحدة وبين اليابان واتضاح احتمالات نشوب الحرب بينهما خاصة منذ بداية الثلاثينيات ، استمرارا فى العداء التقليدى بينهما الذى يرجع تاريخه الى منتصف القرن التاسع عشر **(بالقسم الخاص بالمخـابرات اليابانية تفصيلات وافية عن ظروف هذا العـداء ومظاهره)** ورغم اكتشاف المحاولات اليابانية العديدة لاختراق أمنها لم تعطى الحكومة الأمريكية أهمية ملموسة لتطوير أجهزة مخابراتها ، لتستطيع مواجهة هذا النشاط المتزايد أو حتى توسيع نطاق اختصاصاتها وزيادة امكانياتها أو خلق أجهزة جديدة تساير مثيلاتها فى اليابان أو ألمانيا ٠

وهناك شىء آخر أكثر أهمية ضاعف من قصور أجهزة المخابرات الأمريكية **وهو عدم وجـود هيئة مركزية تتولى التنسيق بين فروعها وأقسامها المختلفـة** وتوجيهها والاشراف عليها ، مما نتج عنه ازدواج فى العمل فى بعض الأحيان والتواكل على بعضها البعض فى أحيان أخرى ٠ ومن هنا تنبع أهمية ردود الفعل التى أحدثها الهجوم اليابانى على ميناء بيرل هاربور **(يوضح الباب الخامس أخطاء المخابرات الأمريكية التى تسببت فى نجـاح هذا الهجوم)** ٠ حيث دفع هـذا الحادث المسئولين الأمريكيين الى تطوير أجهزتهم تطويرا شاملا ـ كان له أثره الفعال الذى شـهدت به أعمال هذه الأجهزة خـلال المراحل الوسطى والأخيرة من الحرب ٠

وقد بادر الرئيس روزفلت عقب نشوب الحرب مع اليابان الى تكليف أحد كبار المحامين الذين لهم صلات عمل وثيقة بالمخابرات **(وليم دونوفان)** بعمل دراسة عن المنظمات المختلفة التى تعمل فى ميدان المخابرات **(أقسام المخابرات**

التابعة للجيش والبحرية والطيران وبعض الجهات الأخرى) وابداء المقترحات اللازمة لتطويرها ، وقدم دونوفان هذه الدراسة بالفعل وكان من نتيجتها تكوين هيئة مركزية تتولى تنسيق وتوجيه نشاط المنظمات القائمة وسميت ادارة تنسيق المعلومات ، كما تم انشاء هيئة أخرى جديدة أطلق عليها **(ادارة الخدمات الاستراتيجية Oss)** وقد قامت هذه الادارة بأعمال حيوية خلال الحرب الثانية سواء فى ميدان جمع المعلومات أو العمليات الميدانية السرية .

ثم تتابعت بعد ذلك الادارات التى أنشئت لتحقيق الأهداف المختلفة للمخابرات ومن أهمها ادارة الترجمة الملحقة بالقيادة العامة للحلفاء والتى كان يرأسها ضابط المخابرات الأمريكى سيدنى فورستر ماشبير(١) والتى بلغ عدد أفرادها عام ١٩٤٤ نحو ٧٦٠ شخصا من بينهم كثير من الأمريكيين ذوى الأصل اليابانى ، وكان لهذه الادارة فروع فى الجبهات الأمامية لكفالة سرعة التبليغ عن المعلومات بالترجمة المتعلقة بها .

أما بالنسبة للهيئات التى تولت تنفيذ برامج الحرب النفسية ضد اليابان وألمانيا وايطاليا فقد اهتمت الولايات المتحدة بتطويرها فى فترة متأخرة من الحرب وأنشأت لهذا الغرض عدة ادارات **(فضلا عن الهيئات الموجودة بالفعل)** منها الادارة السيكلوجية للشئون الحربية التى ألحقت بالقيادة العليا للحلفاء وعدة مكاتب أخرى تسمى بمكاتب الاستعلامات قامت بعمل أفلام للدعاية لقضيتها وترجمة الكتب وتوزيع النشرات والكتيبات .. **(تطورت هذه المكاتب لتصبح فى الوقت الحالى من أهم وسائل الدعاية الأمريكية حيث استغلتها فى شرح وجهات نظرها تجاه الأحداث المختلفة وفى نشر الثقافة والحضارة الأمريكية كما تعتبر هذه المكاتب أيضا ساترا لنشاط وكالة المخابرات المركزية فى البلاد المختلفة ..) .**

---

(١) قدم سيدنى فورستر ماشبير خدمات جليلة لبلاده فى فترة ما بين الحربين وخلال الحرب العالمية الثانية سواء فى مجال المخابرات الايجابية او الوقائية وهو صاحب المشروع المعروف بالخطة (م) لتنظيم شبكات تجسس امريكية فى اليابان . كان عضوا فى هيئة اركان حرب الجنرال ماك ارثر ، وضمن اللجنة التى تسلمت وثائق الاستسلام من اليابان . وله كتاب قيم يسمى (كنت جاسوسا امريكيا) وقد ضمنه كل خبرته الطويلة والناجحة فى ميدان المخابرات .

الفصـــل الثـــانى

أهداف المخابرات الأمريكية

يتبين للمتتبع للأحداث التى عاصرت نشوب الحرب الثانية أن الولايات المتحدة كانت ستدخل هذه الحرب الى جانب الحلفاء ان عاجلا أو آجلا وبالتالى فان حادث بيرل هاربور لم يكن العامل الوحيد الذى دفع الولايات المتحدة لدخول الحرب وبالتالى تحرك أجهزة مخابراتها لتحقيق أهدافها ، ولكنه كان السبب المباشر لدخول هذه الحرب أولا ضد اليابان ثم بعد ذلك ضد ألمانيا ويؤيد ذلك العوامل التالية :

- **ابداء عطفها على حلفائها الأوروبيين الذين يشتركون معها فى الأصل والتاريخ واللغة ، والذين أصيبوا بهزائم متكررة من جانب القوات الألمانية وخشيتها من تأثير ذلك على مصالحها الاستراتيجية ونفوذها الدولى ، خاصة بعد ظهور عجز الحلفاء عن الدفاع عن كيــانهم وسيطرة ألمانيــا على معظم دول القارة الأوروبية ٠**

- **انتصار الرأى الذى يرى أن أمن الولايات المتحدة يتــأثر بالتطورات التى تحدث فى أوروبا وبأى اخلال للتوازن بها ٠**

- **تحول الرأى العام الأمريكى لتأييد قضية الحلفاء ٠**

- **اصدارها عام ١٩٣٩ قانون (ادفع واحمل) والذى باعت بموجبه الأسلحة لحلفائها فقط رغم أنه يكفل البيع أيضا للأطراف الأخرى ٠**

- **قيامها عام ١٩٣٩ بالغاء الاتفاقية التجــارية المعقودة بينهــا وبين اليــابان وشروعها فى محاربتها اقتصاديا ٠**

- **امداد قوات شيانج كاى تشيك بالمساعدات وتشجيع هولنده على الوقوف أمام مطالب اليابان فى جزر الهند الشرقية ٠**

◉ **الأخذ بنظام التجنيد الاجبارى وزيادة مخصصات الدفاع ٠**

◉ **تقديم مساعدات كبيرة للحلفاء بمقتضى قانون الاعارة والتأجير الذى صدر فى عام ١٩٤١ وخرجت الولايات المتحدة به عن سياسة العزلة والحياد التى اتبعتها ٠**

◉ **عقد ميثاق الأطلنطى خـلال عام ١٩٤١ الذى أعلن فيه الرئيسين تشرشل وروزفلت أهداف بلديهما من القتال الدائر فى أوروبا ٠**

ولا شك أن دخول الولايات المتحدة الحرب الثانية كان نقطة البداية لتحول أساسى فى مجرى سير الحرب لصالح الحلفاء نظرا لامكانياتها البشرية والاقتصادية غير المحدودة التى سخرتها جميعا فى خدمة أهدافها العسكرية ، واذا تطلعنـا الى الأهداف التى سعت أجهزة المخابرات الأمريكية الى تحقيقها فى ظل هذه الظروف نجد أنها انقسمت الى هدفين رئيسيين ارتبطا ارتبـاطا وثيقا أحـدهما داخلى والآخر خارجى ٠

الهدف الأول :

مقاومة المحاولات المستمرة من جانب الأجهزة اليابانية والألمانية لاختراق أمنها السياسى والعسكرى والاقتصادى ويلاحظ أنها قد لاقت صعوبات كبيرة فى هذا المجال نشأت عن :

◉ **اتساع رقعة الولايات المتحـدة وتشعب النشـاط الذى قامت به الأجهزة المضادة فى جميع أراضيها ٠**

◉ **تجنيد اجهزة التجسس لبعض المواطنين الأمريكيين من أصل ألمانى أو يابانى والذين يصعب اكتشاف ميولهم وحقيقة أعمالهم ٠**

◉ **تغلغل الايمان بالحريات الفردية بين فئات الشعب الأمريكى ، واستهجانه لأى قيود تحد منها مما أدى الى الحد من حرية أجهزة مقـاومة الجاسوسية وأضاف اليها أعباء متزايدة ٠**

◉ **اتخاذ أجهزة التجسس للسفارات التابعة لدولهم مراكزا لنشاطها ، وبالتالى تمتع أفرادها ووسائل مواصلاتها بالحماية الدبلوماسية ٠**

الهدف الثانى :

تعددت الأهداف التى سعت الى تحقيقها المخابرات الأمريكية فى الخارج الا أنه يمكن بلورتها فى ثلاث أهداف رئيسية :

- **الحصول على كافة المعلومات الممكنة عن القوات المسلحة المعادية لها خاصة اليابانية والألمانية ، سواء من حيث الاعداد أو التسليح أو الامدادات أو المواقع أو التحركات أو شخصيات القادة ، وتزويد المسئولين بها فى الوقت والمكان المناسبين .**

- **خفض الروح المعنوية للقوات المعادية واثارتها ضد نظم الحكم القائمة فى بلادها ، ومحاولة اجبار بعضها على الاستسلام خاصة فى المراحل الوسطى والأخيرة من الحرب فضلا عن تحقيق نفس هذه الأهداف بالنسبة لشعوب هذه الدول .**

- **امداد منظمات المقاومة الشعبية فى المناطق التى احتلتها اليابان وألمانيا بمساعدات مادية وفنية وبشرية كبيرة لخدمة قضيتهم المشتركة (سبقتها بريطانيا فى تقديم هذه المساعدات بحكم دخولها الحرب مبكرا) .**

وبقدر ما واجهت المخابرات الأمريكية كثير من الصعوبات خلال مباشرة عملها داخل الولايات المتحدة فانها قد حصلت على تسهيلات فعالة لنشاطها الخارجى ، حيث قدم بعض المواطنين الألمان والايطاليين واليابانيين المعادين لنظم الحكم القائمة فى بلادهم وكذلك كثير من أهالى الدول التى خضعت للاحتلال مساعدات فعالة لها ساهمت بقدر ملموس فى الانتصارات التى أحرزتها **(حدث نفس الشىء بالنسبة للأجهزة البريطانية والسوفييتية) .**

الفصل الثالث

الانجازات التى حققتها المخابرات الأمريكية

تصاعد نشاط أجهزة المخابرات الأمريكية بالتدريج منذ حادث بيرل هاربور وبدأت القيام بدورها الطبيعى فى خدمة أهداف الولايات المتحدة فى الداخل والخارج ونلاحظ فى هذا الشأن أن الدور الذى قامت به خلال الحرب الثانية يقل نسبيا عن الدور الذى قامت به الأجهزة السوفييتية والبريطانية خلال نفس الفترة سواء من حيث الحجم أو الانتشار أو قيمة الانجازات التى تحققت • ويتضح ذلك بمقارنة أعمالهـا التى سنتعرض لها بمثيلاتهـا التى أنجزتها المخـابرات السوفييتية (**سبق الاشارة اليها**) والبريطانية (**سنتناولها فى القسم التالى**) ولعل السبب الأساسى فى ذلك يرجع الى دخول الولايات المتحدة الحرب فى وقت متأخر نسبيا (**فى ديسمبر ١٩٤١ أى بعد نحو سنتين من بدايتها**) ونظرا لتعدد الانجازات التى حققتها فاننا سنقتصر فيما يلى على تناول تلك التى لها أهمية خاصة سواء من حيث الدروس المستفادة التى تعكسها أو التى تثير مناقشات أو جدلا معينا •

أولا ــ أعمال الترجمة :

قد لا يدل هذا العنوان من الناحية الشكلية على حقيقة الدور الكبير الذى يمكن أن تلعبه الترجمة والذى يجعلنا نخصص حيزا كبيرا نسبيا للحديث عنها • واذا نظرنا فى الواقع الى كمية الوثائق الكبيرة التى تم العثور عليها فى أعقاب انسحاب القوات اليابانية أو بالوسائل الأخرى والتى تم ترجمتها (**نحو مليونى وثيقة**) والمعـلومات الغزيرة والهامة التى احتوتهـا وعـدد الأسرى الذين تم استجوابهم بواسطة هيئات المترجمين والضباط الذين يجيدون اللغات (**نحو ١٤**

ألف أسير) لتبين لنا بوضوح الأهمية الكبرى لأعمال الترجمة التى قامت بها الأجهزة الأمريكية ، أو التى تقوم بها مختلف تنظيمات المخابرات فى الوقت الحالى .

فضلا عن أعمالها الخاصة باستجواب الأسرى والحصول منهم على كافة المعلومات الممكنة عن قواتهم فى جميع المجالات ـ كان لهيئات الترجمة الفضل فى المكاسب الحربية التالية :

- **اغراق أكثر من ٣٠٠ سفينة لانزال الجنود وقتل نحو اثنى عشر ألفا من الجنود اليابانيين بعد ترجمة بعض الوثائق الخاصة بسلاح المهندسين التى توضح الطرق التى تسلكها هذه السفن والأماكن التى تختبىء فيها .**

- **التبكير بالهجوم على معسكر يابانى بعد العثور على أحد التقارير التى توضح ارتفاع نسبة اصابة جنوده بالملاريا (نحو ٨٠٪ من العدد الكلى) .**

- **تجنب ابادة القوات الاسترالية فى أحد المواقع بعد ترجمة وثيقة عثر عليها ضمن حاجيات أحد الجنود اليابانيين القتلى والتى كانت توضح تدبير كمين لها بواسطة القوات اليابانية .**

- **احباط الهجوم الشامل الذى كانت القوات اليابانية تنوى القيام به ضد القوات الاسترالية فى احدى المناطق وقد بينت الوثيقة التى ترجمت أن هذا الهجوم كان على وشك أن يتم فى خلال ساعات قليلة .**

الدروس المستفادة :

بالاضافة الى الأهمية الكبرى لأعمال الترجمة لأكبر عدد ممكن من اللغات الأجنبية فى كافة أجهزة المخابرات فان هناك عدة ملاحظات تتعلق بهذا العمل وتعتبر فى نفس الوقت دروس مستفادة :

- **أهمية حرق المستندات والوثائق التى يستنفذ الغرض منها فى ميادين القتال أو غيرها ويشمل ذلك أيضا أوراق الكربون المستعملة .**

- **التأكد قبل الانسحاب من أى موقع أو ترك المبانى والمنشئات لأى سبب من الأسباب من اتلاف جميع المستندات الهامة أو نقلها الى أماكن أمينة ويجب فى مثل هذه الأحوال تخصيص أفراد معينين يكونوا مسئولين عن هذه المهمة .**

- **عدم اهمال أى وثيقة أو قصاصة مهما كان شكلها الظاهرى يوحى بأنهـا غير مهمة فقد تؤدى الى معرفة أدق أسرار العدو ، أو امداد العدو من جانب آخر بقطع صغيرة أو كبيرة من المعلومات قد تكمل الصورة التى لديه .**

- **ضرورة اجادة ضباط المخابرات وان أمكن الموظفين الآخرين للغة أو أكثر من اللغات الأجنبية الحية .**

ثانيا ـ الحرب النفسية :

كانت الحرب النفسية من أهم الوسائل الفعالة التى استخدمتها المخابرات الأمريكية لتحقيق أهدافها ومع كفاءة أجهزتها وكثرة النتـائج التى حققتها ، لم تبلغ المستوى الذى وصلت اليه الأجهزة البريطانية خاصة فى مجال حرب الاذاعات نظرا للأسباب التالية :

- **استخدام الاذاعة البريطانية لثلاث وعشرين لغة فى برامجها الموجهة بينما اقتصرت الاذاعة الأمريكية على استخدام ست لغات فقط . وما يتبعه ذلك من زيادة عدد المحطات والبرامج البريطانية عن مثيلاتها الأمريكية .**

- **عدم حصول الاذاعة الأمريكية على أحدث الأنباء وعدم التوسع فى الرد على الدعايات الألمانية بعكس الاذاعة البريطانية .**

- **كثرة جمهور المستمعين والمتتبعين لنشاط أجهزة الدعاية البريطانية ، خاصة فى المناطق التى كان مواطنوها يرتبطون بصلات عاطفية ومصلحية مع بريطانيا وبحكم الدور الرئيسى الذى قامت به فى امداد منظمات المقـاومة الشعبية بكافة المساعدات الممكنة فضلا عن حرص هذه المنظمات على استقبال فقرات شفرية أو مفتوحة من الاذاعة البريطانيـة توجههم للقيام بأعمـال معينة أو للالتزام بمواقف ، وهو ما لم يتوافر للأجهزة الأمريكية التى حال دخول الولايات المتحدة الحرب مؤخرا دون قيامها بمثل هذا الدور .**

- **تخصيص الحكومة البريطانية لبرامج اذاعية مستقلة بالاضافة الى برامجها العادية لحكومات المنفى التى اتخذت من لندن مقرا لها (حكومات فرنسـا وبلجيكا وهولندة ..) .**

ومع ذلك فان برامج الحرب النفسية الأمريكية وانجازاتها تميزت من ناحية أخرى بالتوسع فى توزيع المطبوعات والنشرات والقصاصات والكتيبات على المواقع التى ترابط فيها القوات الألمانية واليابانية والايطالية أو الجبهات التى تحارب فيها هذه القوات وذلك من أجل خدمة الأهداف العسكرية التكتيكية .

واذا ما انتهينا من هذا التحليل النظرى لدور الأجهزة الأمريكية فى الحرب النفسية يجب أن نشير أيضا الى أن أعمال هذه الأجهزة قد فاقت فى قيمتها وانتشارها الأعمال التى قامت بها الأجهزة السوفييتية واليابانية والايطالية والفرنسية ويتضح لنا ذلك من تناول أهم انجازاتها :

- **خفض الروح المعنوية للقوات اليابانية البرية والبحرية واثارة فئات الشعب المختلفة ضد قادتهم ، وبالتالى المساهمة فى تقريب الميعاد النهائى لاستسلام اليابان مما أدى الى انقاذ مئات الآلاف من الأرواح وتوفير مئات الملايين من الدولارات .**

- **نجاح الحرب النفسية الموجهة ضد البحرية الألمانية والتى قامت على أساس :**

١ - توضيح عزلة غواصاتهم فى رحلاتها البحرية ووصف بعض انواعها بأنها أكفان من الصلب .

٢ - الحط من شأن الأسلحة البحرية الألمانية وابراز تفوق مثيلاتها الأمريكية .

٣ - تخصيص برنامج اذاعى يخاطب فيه أحد كبار ضباط البحرية الأمريكية البحارة الألمان باللغة الألمانية مع استغلال كافة الوسائل الممكنة ومن بينها فضائح كبار القادة لتحقيق هذا الهدف . فضلا عن القيام بالرد على الدعايات الألمانية الموجهة للجنود الأمريكيين .

- **استسلام كثير من الجنود الألمان بعد انهيار روحهم المعنوية واعتقادهم بأن الحرب ستنتهى لصالح الحلفاء بدافع من رغبتهم فى الاستمرار على قيد الحياة والتمتع بالمعاملة الحسنة التى تعهدت بها الاذاعة والكتيبات والنشرات الأمريكية .**

- **القيام بدور فعال فى الاستيلاء على سيبان التى تعتبر أحد خطوط الدفاع القوية عن اليابان بهـدف اكتساب ولاء سكانها ، وضمان عـدم تعرضهم للقوات الأمريكية المهاجمة ، وابعاد اهتمام القوات اليابانية عن المناطق التى سيتم فيها الغزو • والجدير بالذكر أن الذى قام بهذه العملية هى الوحدات الأمريكية المقاتلة التى غزت سيبان معتمدة فى ذلك على مكبرات الصـوت والمنشورات •**

ثالثا ــ كسر الشفرة اليابانية :

لا شك أن أهم ما يميز أعمال المخابرات الأمريكية فيما بين الحربين وخلال الحرب الثانية هو كسر الشفرة اليابانية ، وفى الحقيقة فان معظم أجهزة المخابرات التابعة لدول الحلفاء أو المحور ، قد توصلت الى اكتشاف الكود الخاص بشفرات بعضها على فترات مختلفة الا أن قيمة نتائج كل منها والفترات التى احتفظت فيها بهذه الأسرار لم تعادل النتائج التى حققتها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا أو الفترات التى استمرتا فى الاحتفاظ بها وتوضح لنا الانجازات التالية حقيقة هذا القول بالنسبة للأجهزة الأمريكية :

- **تغيير مجرى موقعة ميدواى البحرية لصالح الأسطول الأمريكي ، (تحطم فيها عدد كبير من قطع الاسطول اليابانى) وقد نتج عن ذلك فراغ واسع فى خطوط الدفاع عن الجزر اليابانية ، وبدء سيطرة الولايات المتحدة على البحار المحيطة باليابان • وقد اشترك الاسطول الأمريكى فى هذه الموقعة وهو يعرف مقدما عن طريق كسر الشفرة جميع تحركات الاسطول اليابانى ومواقعه وأعداد قطعة ، ونوعياتها ، وتسليحها ، ونقاط الضعف والقوة فيه مما أدى فى النهاية الى ما حدث من نتائج •**

- **اسقاط الطائرتين اللتين كانتا تقلان قائد عام الأسطول اليابانى (الأميرال ياماماتو الذى كان له دور أساسى فى تخطيط وتنفيذ الهجوم على بيرل هاربور) وهيئة أركان الحرب التابعة له وقد صدرت الأوامر بتحطيم هاتين الطائرتين من الرئيس روزفلت نفسه ، بعد التقاط اشارة سرية من القيـادة العليا للأسطول اليابانى ، توضح قيام ياماماتو بزيارة تفتيشية لبعض المناطق ــ وتوقيت مروره عليها •**

- **التقاط غالبية الرسائل اللاسلكية التى تبادلتها الأجهزة اليابانية ومعرفة ما بها من أوامر قتال أو تحركات أو مواقع أو غيرها من المعلومات التكتيكية والاستراتيجية الحيوية •**

رابعا ــ الحصول على معلومات فنية عن الأسلحة الألمانية :

وكما لعبت المخابرات العلمية دورا هاما فى الأجهزة البريطانية والسوفييتية فانها قد قامت بنفس الدور فى الأجهزة الأمريكية وسنشير هنا فقط الى أحد الأمثلة البارزة وهو الحصول على التصميم المطبوع لطوربيد الاستماع الألمانى الذى ينجذب نحو السفن بما تحدثه من ضوضاء أثناء سيرها فبعد أن توفر للبحرية الأمريكية معلومات عن شروع ألمانيا فى انتاج هذا السلاح السرى سعت الى الحصول على التركيبات الفنية له ٠ واستطاعت بالفعل القيام بهذا العمل قبل استخدام ألمانيا للطوربيد بستة أشهر مما مكن القسم الفنى الملحق بالبحرية الأمريكية من اختراع وسائل مضادة له أبطلت من فاعليته ٠

القسم الثالث

المخابرات البريطانية

⊙

الفصل الأول

أهداف المخابرات البريطانية ووسائلها

رغم ما هو معروف عن التاريخ الطويل للمخابرات البريطانية وكفاءتها الكبيرة التى تشير اليها التوسعات الاستعمارية الشاسعة لانجلترا فى قارات أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية واستراليا ، وانتصاراتها المتكررة فى الغالبية العظمى من الحروب التى خاضتها فقد تخلفت أجهزتها فى فترة ما بين الحربين عن ملاحقة التطور الكبير فى تنظيم وتمويل ونشاط أجهزة المخابرات الألمانية ، والسوفييتية ، واليابانية مما أصابها بخسائر كبيرة فى بداية نشوب الحرب وعرضها لنقد واسع من جانب الرأى العام والمسئولين البريطانيين ٠

وقد بادرت الحكومة البريطانية فى أعقاب نشوب الحرب مباشرة الى تقديم كافة التسهيلات الممكنة الى أجهزة المخابرات (**زيادة اعتماداتها المالية بدرجة ملحوظة ــ امدادها بعدد كبير من الأفراد الأكفاء ــ تدعيم التنظيمات والادارات العاملة فيها وانشاء اخرى جديدة** ٠٠) مما كان له أثره بعد ذلك فى الانتصارات الكبيرة التى حققتها وانهاء الحرب لصالح الحلفاء ٠

وقد كان من الطبيعى أن تسير الأجهزة البريطانية فى نطاق الاطار العريض للهدف الذى سعت انجلترا الى تحقيقه وهو السعى بكافة الوسائل الى الانتصار على قوات المحور ٠ الا أن جزئيات هذا الهدف المتعلقة بالمسئوليات الملقاة على عاتق المخابرات قد تبلورت فى عدة أهداف متداخلة ومكملة لبعضها فى نفس الوقت ــ نبعت أساسا من الظروف المختلفة التى صاحبت نشوب الحرب وتشكلت بصفة جزئية أو كلية بتغير هذه الظروف وذلك على الوجه التالى :

◉ فى نفس اليوم الذى أعلنت فيه بريطانيا الحرب على ألمانيـا ، كان الهـدف الرئيسى للمخابرات القبض على جميع العملاء الألمان فى كافة أنحاء انجلترا لتأمين الجبهة الداخلية ، ومنع اختراق أجهزة التجسس الألمانية لها • وكانت الأجهزة البريطانية قد أعدت من قبل كشوف كاملة بهم أو بمن يشتبه فى نشاطه •

◉ انحصر الهدف الثـانى فى الفترة التى أعقبت نشوب الحرب فى مواجهـة المحاولات المتكررة من جانب ألمانيا لتعويض ما فقدته من شبكاتها وعملائها التى اتخذت شكلا جديا بكبر حجم هذه المحاولات ، وشمولها لعدد كبير من المدن والموانى والأجهزة الحكومية •

◉ نبع الهدف الثالث من رغبة الأجهزة البريطانية فى جمع كافة المعلومات الممكنة عن النوايا الحاضرة والمستقبلة لالمانيـا ، وقواتها العسـكرية (اعـدادها ـ تسليحها ـ مواقعها ـ مراكز تموينها ـ مستودعات الوقود ـ تحركاتها ..) لذلك فقـد سعت الى اقامة شبكات لها فى الأراضى الألمانية ، وتشـغيل الشبكات الأخرى القديمة التى أنشئت فى فترة ما بين الحربين وظلت سـاكنة أو تعمل فى حدود ضيقة استعدادا لأى تطورات محتملة ، وقد تمكنت هذه الشبكات بالفعل من تحقيق الأهداف المحددة معتمدة على مصادرها المختلفة والتى كان من بينها أعضاء فى القيادة العليا الألمانية •

ولم يقتصر نشاط المخابرات البريطانية من أجل تحقيق ذلك على المجتمع الألمانى فقط بل تعدته كذلك الى اقامة مراكز لها فى سـويسرا والنمسـا والدانمرك وهولندة وبلجيكا (قبل احتلالها) •

◉ اتسعت رقعة الأراضى التى احتلتها ألمانيـا فى نطاق سياستها التوسعية ونظرا لادراك المخابرات البريطانية امكانية التأثير على مجهودها الحربى اذا ما وجهت نشاطها أيضا الى هذه المناطق ، فقد جعلت بالفعل هذا الهدف من أهم ما سعت الى تحقيقه خلال الحرب •

◉ حينما تبلورت الاتجاهات المعادية للحكم النازى بين عدد يعتد به من الألمان ذوى النفوذ الذين يخشـون مغبة الاتجـاهات المتطرفة لهتلر على مستقبل بلادهم ـ تبين للمسئولين البريطانيين امكانيـة التعـاون معهم فى القيام بانقلاب ضد نظام الحكم النازى ، أو اغتيال هتلر ، لما يحققه ذلك من الحد من التوسعات الألمانية وايقاف الحرب وبالتالى تقليل الخسـائر الكبيرة فى الأرواح والأموال والعتاد •

الوسائل التى استخدمتها :

تعددت الوسائل التى استخدمتها المخابرات البريطانية فى تحقيق أهدافها . وقد توافقت النتائج التى حققتها طرديا مع كفاءة هذه الوسائل وحسن استخدامها وهى تعتبر لذلك فى احدى جوانبها عوامل مساعدة مكنت من تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق هذه الأهداف وذلك على الوجه التالى :

◉ **انشاء ادارات جديدة للمخابرات وتدعيم القائم منها (المخابرات الحربية M-I-5 ـ والفرع التابع لها الخاص بالجاسوسية وأعمال التخريب M-I-6 ـ القسم الخاص باسكتلنديارد ـ ادارة المخابرات التابعة لوزارة الخارجية ـ أقسام المخابرات بالجيش والبحرية والطيران ٠٠) باعتبارها الأساس الضرورى لأى عمل آخر ٠**

◉ **تجنيد عدد كبير من الألمان للعمل فى صالحها باستغلال عدائهم الشديد للنازية ، وقد ساعد ذلك كثيرا بالفعل على حصولها على معلومات وفيرة وعلى درجة كبيرة من السرية عن القوات الألمانية (من بعض كبار المسئولين فى الجيش والمخابرات وغيرهم) ٠**

◉ **اقامة صلات وثيقة ومتشعبة مع منظمات المقاومة الشعبية فى الدول التى خضعت للاحتلال الألمانى واستغلال أعضائها فضلا عن المواطنين الآخرين ـ فى استنزاف جهود قواته ، وتخريب منشآته ، وتدمير خطوط مواصلاته ، واغتيال جنوده ، وطبع وتوزيع المنشورات المعادية له ، بالاضافة الى الحصول على كافة المعلومات الممكنة عن كل ما يتعلق بشئونه العسكرية ٠ (أنشأت المخابرات البريطانية لهذا الغرض ادارة أطلق عليها « ادارة تنفيذ العمليات السرية » تختص بتدريب الأفراد الذين أرسلوا الى أوروبا وبالاتصال بمنظمات المقاومة الموجودة بها) ورغم أن هذه المساعدات قد كلفت هؤلاء الأهالى خسائر فادحة فى الأرواح (ذكر أحد المصادر أنه كان يتم اعدام نحو ٥٠٠ يوغسلافى فى مقابل جندى ألمانى واحد) الا أنهم استمروا فى تقديم مساعداتهم الفعالة لبريطانيا من أجل خدمة قضيتهم المشتركة ٠**

◉ **التوسع فى استخدام الحرب النفسية ضد مواطنى وقوات دول المحور خاصة ألمانيا وايطاليا ٠ وقد أنشىء لهذا الغرض قسم خاص بها (الشئون السياسية التنفيذية) اتخذ من حرف ـ V ـ شعارا له (استخدمه تشرشل بكثرة**

بعد ذلك خلال الأيام العصيبة التى مرت ببريطانيا) وجعل من بين أهدافه الرئيسية خفض الروح المعنوية للقوات الألمانية والايطالية ، ومقاومة الدعاية المضادة من جانب الأجهزة الألمانية ، التى توسعت أيضا فى توجيه حملاتها النفسية ضد بريطانيا • وقد قامت هيئة الاذاعة البريطانية فى هذا المجال بدور ملحوظ ، وتصدرت بصفة عامة الجهود البريطانية فى شن حرب نفسية ضد دول المحور سواء عن طريق برامجها العادية ، أو الاشراف على البرامج الخاصة الأخرى وامدادها بخبراتها الفنية والادارية •

- استخدام قوات بريطانية خاصة من الكوماندوز لتخريب المنشئات ، ومهاجمة القوات الألمانية فى المواقع الضعيفة ، والحصول على كافة الوثائق او المعلومات الممكنة •

- تجنيد كبار العلماء والكتاب والسياسيين سواء من مواطنيها أو من مواطنى الدول الأخرى الذين تربطهم ببريطانيا علاقات خاصة وذلك باستخدام وسائل متعددة كالقرابة والانتماء لدول الكومنولث والعطف على قضية الحلفاء واستغلال جانب كبير منهم فى برامج المخابرات العلمية •

- الاعتماد الى حد كبير على تعاون الشعب البريطانى مع اجهزة مقاومة الجاسوسية خاصة وأنه يتمتع بدرجة عالية من الوعى ، وقد قام كثير من أفراده بالفعل باسداء خدمات كبيرة لهذه الأجهزة لا تقل فى قيمتها عن الدور الذى قامت به اداراتها المختلفة •

الفصل الثانى

الانجازات التى حققتها المخابرات البريطانية

يعتبر الدور الذى قامت به المخابرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية من أهم الأدوار التى تولتها أجهزة المخابرات المختلفة خلال هذه الفترة ، سواء من حيث عدد الانجازات التى حققتها أو قيمتها أو انتشارها ، ولا شك أنه لولا التراث التاريخى الطويل لها ، والكفاءة العالية التى تميز بها أفرادها ، والمساعدات الفعالة التى قدمها الألمان المعادين للنازية ، ومواطنى الدول التى خضعت للاحتلال الألمانى ، وكثير من المواطنين البريطانيين لما تمكنت من القيام بهذا الدور وبالتالى التمهيد لانتصار بريطانيا فى الحرب ، ونظرا لتعدد انجازاتها ولعدم توافر المجال المناسب لتناولها جميعا ، سنقتصر فيما يلى على ايضاح أهمها والتى تعكس فى نفس الوقت أكبر قدر من الدروس المستفادة والخبرات المرشدة •

أولا ـ قضية بينموند :

يتعلق هذا الجانب الهام من أعمال المخابرات البريطانية بتدمير سلسلة المواقع الألمانية الخاصة باطلاق الصواريخ والقنابل الطائرة تجاه لندن وضواحيها . واذا كنا قد أوضحنا فيما سبق الدور الهام الذى قام به مواطنو الدول التى خضعت للاحتلال الألمانى لصالح المخابرات الانجليزية ، فان ذلك ينطبق تماما على الوسيلة التى استطاعت بواسطتها هذه الأجهزة الحصول على أدق التفصيلات الخاصة بالمواقع الألمانية والتى مكنت بعد ذلك سلاح الطيران البريطانى من تدمير معظمها • وقد قام كثير من المواطنين الفرنسيين والبولنديين والبلجيكيين والهولنديين والدنمركيين وغيرهم بالدور الأساسى فى هذا العمل[1] واقتصر ما قامت به الأجهزة البريطانية على مجرد توجيه هؤلاء الأفراد والاشراف عليهم

---

(١) يلاحظ ان احد المواطنين الفرنسيين ويدعى ميشيل هولارد قد قام بجهد بارز فى هذا الشأن •

وتجميع شرائح المعلومات المتناثرة وتحليلها أو التأكد منها بواسطة طائرات الاستطلاع وغيرها .

تمكن هؤلاء الأهالى بحكم عملهم فى المشاريع الألمانية (**كسخرة أو بناء على تدبير مسبق**) وبالتصنت الى الأحاديث غير المسئولة من جانب بعض المسئولين العاملين بها ، من الحصول على معلومات لا تقدر بثمن عن :

◉ **شروع ألمانيا فى انتاج أسلحة سرية جديدة ذات تدمير كبير (الصواريخ والقنابل الطائرة** V.I.V.2) **تستطيع اصابة قلب لندن .**

◉ **مواقع مصانع ومخازن وأماكن اطلاق هذه الأسلحة بالتفصيل (فى بينموند وبعض المناطق الأخرى على الساحل الفرنسي الشمالى) .**

◉ **بعض التفصيلات الفنية الخاصة بهذه الصواريخ .**

ونظرا لأهمية هذا العمل فقد قام رئيس وزراء بريطانيا بنفسه بمتابعته عن قرب ، وعندما اكتملت جميع المعلومات اللازمة أصدرت الأوامر لقاذفات القنابل بتدمير كل ما يتعلق بها ، وقد تمكنت بالفعل من اتلاف الغالبية العظمى من مواقع الاطلاق ومخازن التجميع وقتل كثير من العاملين فيها . (**معروف أنه كان لتشرشل فضل كبير فى تطوير وتنظيم أجهزة المخابرات البريطانية ورفع كفاءتها خلال الحرب**) .

واذا نظرنا مليا الى النتائج التى حققتها هذا العمل لوجدنا فيها نموذجا كاملا للنجاح الذى يمكن أن يحققه جهاز ما للمخابرات فقد تسببت هذه الانجازات فى تأخير برنامج استخدام هذه الأسلحة لمدة ستة أشهر ، وتقليل معدلات اطلاقها من ١٠٠٠ الى ١٠٠ يوميا ـ الأمر الذى أدى الى :

١ ـ وقاية العاصمة البريطانية من دمار شامل ومحقق .

٢ ـ الحيلولة دون امكانية استسلام المملكة المتحدة ، أو تسليمها بمطالب ألمانيا بعقد صلح يطبق بموجبه سياسة الأمر الواقع .

٣ ـ انقاذ الآلاف من أرواح البريطانيين .

٤ ـ القضاء على محاولات ألمانيا لاطالة أمد الحرب لأطول فترة ممكنة .

الدروس المستفادة :

تتعلق الدروس المستفادة التى يمكن استخلاصها من هذه القضية بالأخطاء التى وقع فيها الألمان ويجب تلافيها فى أى مشروع مماثل وبالجوانب الناجحة للعمل الذى قامت به المخابرات البريطانية وذلك على النحو التالى :

أولا ــ بالنسبة للأخطاء :

لم يلتزم المسـئولون بتطبيق كافة تعليمات الأمن اللازمة فى مثل هذه المشروعات الحيوية سواء بالنسبة للأفراد أو المنشئات أو الوثائق (**تطوع الألمان العاملين بالمشروع لاعطاء معلومات بدون مقابل بأحاديثهم غير المسئولة ــ الاكثار من استخدام أفراد لا يتمتعون بالرعوية الألمانية دون اجراء تحريات كافية عن اتجاهاتهم أو احكام الرقابة عليهم خلال قيامهم بعملهم ــ احتفاظ بعض المهندسين الألمان بوثائق على درجة عالية من السرية فى أماكن غير مأمونة .. الخ**) ويمكن بالطبع تلافى هذه الأخطاء بسهولة وذلك من خلال تطبيق تعليمات الأمن ويجب التركيز على ايضاح الاجراءات التى يمكن بواسطتهـا للفرد ألا يتطوع باعطاء العدو أية معلومات خلال الأحاديث العادية سواء كان مواطنا عاديا أو له صلة مباشرة أو غير مباشرة بأى عمل سرى وهى على النحو التالى :

- **تجنب الثرثرة غير المسئولة مع أشـخاص غير مأمونين أو فى أماكن عامة وفى أية موضوعات مهما كان الطابع الظاهرى لها يبدو غير سرى اذ يؤدى ذلك فى بعض الأحيان الى التورط بالخوض فى أسرار العمل .**

- **تحاشى محاولات الاثارة المتعمدة من جانب أى فرد يستهدف الحصـول على المعلومات وذلك بتحـويل مجرى الحديث الى وجهة أخرى أو ادعاء عـدم المعرفة أو حتى الالتزام بالصمت ، وهذا أمر يحتاج الى تدريب .**

- **توقيع جزاءات صارمة فى القضايا التى لا تحتمل أى مناقشة أو تبرير .**

ثانيا ــ ما يتعلق بعوامل النجاح :

يبرز فى هذا الشأن درس هام يجب استيعابه جيدا وهو ضرورة استغلال جميع الظروف والامكانيات المتاحة فى تحقيق الأهداف المحددة (**وهى بالنسبة لعملية بينموند تجنيد كل من يقبل العمل فى صالح المخابرات البريطانية من**

مواطنى الدول المحتلة وتسخير جميع امكانيات بريطانيا لاكتشاف وتدمير المواقع الألمانية) حتى لو أدى الأمر الى الالتجاء الى ما يسمى بالوسائل غير المشروعة **(استغلال الجنس ـ المال ـ الرغبة فى التسلق الوظيفى .. الخ) .**

وهناك درس آخر يفوق جميع ما تقدم فى قيمته وآثارة وهو أهمية تقدير القيمة الحقيقية لمعلومات المخابرات ، والتصرف على أساسها فى الوقت والمكان المناسبين ولكى ندرك أبعاد ذلك سنعقد مقارنة بسيطة بين نجاح العمل البريطانى المشار اليه الناتج عن حسن استيعاب هذه الدروس وبين فشل المسئولين السوفييت والألمان فى بعض القضايا نتيجة لعدم الأخذ بمدلولاته .

فقد تسبب بعض القادة السوفييت وعلى رأسهم ستالين فى تقليل الأهمية الكبرى لبعض المعلومات التى حصلت عليها المخابرات باهمالهم لها أو عدم تصديق صحتها رغم تأكيدها من أكثر من مصدر (**حصلوا على معلومات من الشبكات السوفييتية فى سويسرا واليابان عن التاريخ المحدد لهجوم القوات الألمانية على الاتحاد السوفييتى وأخرى عن توزيع القوات الألمانية فى القطاعات المختلفة استعدادا للهجوم واتجاه هذا الهجوم فى كل مرحلة ـ حذر تشرشل القادة السوفييت من الغزو الألمانى المتوقع الا أن ستالين أوضح له أنه لم يكن فى حاجة الى تحذير من أحد وأنه يعتقد أن فى استطاعته تأجيل الحرب لمدة ستة أشهر أخرى**) ومن الطبيعى أن يترتب على ذلك الاهمال من جانب المسئولين السوفييت تأخير استعداد وتجهيز خطوط الدفاع الغربية وبالتالى سهولة اختراق القوات الألمانية لها ، ولكثير من المدن والأقاليم التى تجاورها وهزيمة القوات السوفييتية فى المراحل الأولى لنشوب الحرب .

أما فيما يتعلق بموقف المسئولين الألمان من المعلومات التى حصل عليها بعض عملائهم فيوضحه تصرفهم المماثل لموقف المسئولين السوفييت فى بعض القضايا وتعطينا قضيتى سيسرو (**عميل ألمانى كان يعمل خادما خاصا للسفير البريطانى فى أنقرة وحصل من خزانته على معلومات حيوية عن بريطانيا وعن بعض حلفائها فى كثير من الجوانب**) وغزو نورماندى (**حصلت المخابرات الألمانية على معلومات مضللة جعلتها تعتقد أن اتجاه الغزو كاليه وليس نورماندى**) ـ خير دليل على ذلك ، وقد تسبب هذا كله فى هزيمة ألمانيا فى بعض المعارك العسكرية الهامة وعجل بفقدها للحرب .

ثانيا ــ عملية اللحم المفروم (١) : The man who never was;

تعتبر هذه العملية من أنجح وأشهر عمليات الخداع التى قامت بها أجهزة المخابرات على مر التاريخ وقد كان الهدف من القيام بها اقناع المسئولين الألمان بعد هزيمة قواتهم فى معركة العلمين أن نوايا الحلفـاء تتجه نحو غزو القـارة الأوروبية عن طريق جزيرة سردينيا واليونان ، وذلك من أجل تحويل اهتمامهم عن تعزيز قواتهم فى جزيرة صقليـة وجنوب ايطاليـا أو تقوية استحكاماتهم الدفاعية فيهـا ، اذ كان من المفروض أن تعبر هذه المواقع القوات المتحالفة فى طريقها الى قلب القارة •

أدركت المخابرات البريطانية أن باستطاعتها استخدام احدى الطرق الفنية الجيدة لتجنيب جنود الحلفاء خسائر المواجهة المباشرة مع القوات الألمانية ، التى فضلا عن كفاءتهـا العالية المعروفة ، ترابط خلف مواقع دفاعية حصينة الأمر الذى كان سيجبر القوات المهاجمة على تحمل خسائر فى الأرواح والعتاد اضعاف ما يصيب القوات الألمانية ــ لذلك فقد بادرت الى اتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ هذه الخطـة التى سميت بعمليـة « اللحم المفروم » وتتلخص فى قذف احـدى الغواصات لجثة مدثرة بملابس رائد بريطانى بالقرب من الشاطىء الأسبانى ، بحيث يبدو لمن يعثر على الأوراق المعلقة فى يدها ، انها مرسلة من أحد جنرالات الحلفاء الى آخر وتوضح التفـاصيل الدقيقة (**المزيفة**) لغزو أوروبا عن طريق اليونان وسردينيا •

وقد كان من الممكن أن تحتوى مثل هذه الخطة على عوامل فشلها خـلال المراحل الطويلة لاعدادها أو تنفيذها ، كما كان من الممكن أيضا أن تسفر عن نجاح كامل اذا اكتملت جميع عناصر هذا النجاح خاصة فيما يتعلق بالمشرفين عليها وطريقـة اعـدادهم وتنفيـذهم لها ، وتنطبق الفقرة الأخيرة بالفعل على ما قامت به المخابرات البريطانية • حيث قدرت مقدما جميع أبعادها ولم تترك أى جزئيات رهينة بمجرى الحوادث أو بحسن الحظ ، بل أحكمت عمل كل شيء حتى بالنسبة للتفاصيل الفرعية غير الهامة وهو ما يتضح مما يلى :

- **اختيار اسم للرائد البريطانى الذى لا وجود له ــ يشابه الذى كان يحمله ضابط بريطانى متوفى •**

---

(١) **يوجد فيلم عن هذه القضية يسمى** (The man who never was).

- **وضع اسمه ورتبته فى السجلات الخاصة بالعسكريين البريطانيين .**

- **فتح حساب جارى له فى احدى البنوك بتاريخ قديم .**

- **اختيار عنوان لاقامته مماثل لمحل سكن ضابط بريطانى آخر ، بحيث يمكن أن يختلط الأمر على العملاء الألمان الذين يرسلون للتحرى عن مدى صحة هذه المعلومات .**

- **اختيار جثة أحد المتوفين حديثا واحكام تدثيره بكافة الملابس الملائمة لهذه المهمة .**

- **اعداد الأوراق التى يحملها وكأنها قد مرت عليها عدة أيام مشبعة بمياه البحر بتأثير سقوطها من الطائرة التى من المفروض أن تكون قد أقلت الرائد البريطانى .**

- **تزويد حافظة نقوده بصورة خاصة بزوجته وأسرته وبأوراق تحقيق شخصية.**

- **تضمين الأوراق التى يحملها معلومات منتقاة ، بحيث تبدو منطقية وتجعل المسئولين الألمان يعتبرونها ضربة من ضربات حسن الحظ التى يندر حدوثها ولا تسمح فى نفس الوقت بتسرب ملموس لأى معلومات حيوية .**

- **اسقاط الجثة فى مكان يسهل التقاطها فيه بواسطة العملاء الألمان .**

وبقى أن نذكر أن المسئولين الألمان قد اقتنعوا تماما بصحة هذه الأوراق واعادوا تشكيل قواتهم على أساس المعلومات التى وردت فيها بأن دعموا قواتهم فى المناطق التى ورد ذكرها وأهملوا الدفاع عن صقلية وجنوب ايطاليا مما مكن القوات المتحالفة من أن تغزو ايطاليا بسهولة .

واذا كان من الممكن أن نوضح عملا آخر من أعمال الخداع التى قامت بها أجهزة المخابرات المختلفة خلال الحرب العالمية الثانية يماثل فى قيمته واثارة ما سبق الحديث عنه بالنسبة لقصة الرائد البريطانى ، لتبين لنا أن المخابرات الألمانية قد قامت بعمل مشابه ضد المخابرات البريطانية نفسها عرف باسم عملية انجلند شبيل أو نوردبول حيث تمكنت من القبض على كثير من عملاء بريطانيا فى هولندة واستمرت لفترة تعدت السنتين فى اقناع الأجهزة المشرفة فى لندن بأن عملائها هم الذين يتلقون جميع المعلومات والمساعدات التى ترسلها (**سيتبين لنا ذلك بالتفصيل عند تناول انجازات المخابرات الألمانية**) .

ثالثا ــ تدمير مصنع المياه الثقيلة بالنرويج :

كان من بين أهم أهداف الحلفاء خلال الحرب الحيلولة دون انتاج ألمانيا للقنبلة الذرية ، لما هو معروف عن المدى التدميرى الشامل لهذا السلاح وتأثيره على تغيير مجرى الحرب لصالح الدولة التى تملكه ، وقد بذلت بريطانيا فى هذا الشأن مجهودات متكررة ، فشلت فيها فى بادىء الأمر الا أنها نجحت بالفعل بعد ذلك فى التسبب بصفة أساسية فى صرف اهتمام ألمانيا عن انتاج القنبلة .

ويعتبر العمل الذى قامت به المخابرات البريطانية من أهم انجازاتها طوال فترة الحرب ، كما يعتبر أيضا من أهم الأعمال التى حققتها جميع أجهزة المخابرات خلال نفس الفترة ، وهو فى أحد جوانبه مثالا يحتذى لحسن التخطيط والاعداد وللاصرار على تحقيق هدف معين ، رغم الصعوبات اللانهائية التى يمكن أن تعوق تنفيذه ، ويعتبر من جانب آخر نموذجا للانجازات التى يمكن أن يحققها أى جهاز للمخابرات على مستوى المسئولية .

مراحل اعداد وتنفيذ الخطة :

بعد أن بادرت ألمانيا فى أعقاب احتلالها للنرويج بالاستيلاء على مصنع المياه الثقيلة واستغلاله فى استكمال أبحاثها فى مجال الانشطار النووى تمهيدا لانتاج أول قنبلة ذرية ــ سعت المخابرات البريطانية الى البحث عن الاجراءات المناسبة للحيلولة دون استفادة ألمانيا من امكانيات هذا المصنع وقابلت صعوبات كبيرة فى سبيل تنفيذ هذا الهدف من المفيد أن نشير اليها لتبين مدى اصرارها على تحقيقه رغم حجم التضحيات التى تحملتها وهى على النحو التالى :

- **عدم توفر معلومات كافية عن المصنع مما أدى الى قيام مجموعة من العملاء البريطانيين والنرويجيين بمهمة جمع معلومات تفصيلية عنه استغرقت نحو ١١ شـــهرا بما فى ذلك التخطيط المرحلى لعمليـــة التخريب (شملت هذه المعلومات موقع المصنع بالتحديد والمناطق المحيطة به ونظام الحراسة ومواقع معمل التحليل الكهربائى ومخازن المياه الثقيلة ومصنع التقطير العالى) .**

- **الظروف الجوية السيئة المحيطة بالمصنع خاصة العواصف المتلاحقة مما أرغم المجموعة المكلفة بالعمل على تأجيل خطتهـــا لبعض الوقت (فشلت عملية انزال جمـاعات الاستكشاف والتخريب بالمظلات عـدة مرات بسبب هذه الظروف) .**

- الحراسة المشـددة من جانب القوات الألمانيـة داخل المصنع وفى المنـاطق المحيطة به وتنوع الدوريات العسكرية فى المنطقة (دوريات مشاه وسيارة وطائرات استطلاع) وارتفاع كفاءتها القتالية (أعضاء من قوات العاصفة) فضلا عن الدعم الكبير الذى تتلقاه من العناصر النرويجية العميلة ٠

- عدم وجود مواصـلات سهلة مؤدية الى موقع المصنع ووجود بعض المنـاطق المكشوفة حوله مما يضاعف من احتمالات اكتشاف أى محاولة ضده (قطعت المجموعة المكلفة بالعمل نحو ٢٥٠ ميلا بالزحافات الجليدية للانسحاب بعد انتهاء مهمتهم الى منطقـة آمنة خاصـة وأنه لم يكن هنـاك وسـيلة أخرى للمواصلات) ٠

- اصابة مجموعة كاملة من الأشخاص المدربين المكلفين بالمهمة بخسائر كبيرة فى الأرواح فضلا عن تحطيم احدى الطائرات الناقلة لهم على سواحل النرويج أما من تبقى على قيد الحياة منهم فقد تم اعدامه بواسطة السلطات الألمانية ٠

- تناقض امدادات التموين المزود بها الأفراد نظرا لطول الفترة التى قضوها فى النرويج خلال تنفيذ المهمة وعدم وجود مصادر بديلة لها ٠

- وعورة المنطقة المقام فيها المصنع مما ضاعف من الصعوبات التى واجهت المجموعة المكلفة بالعمل اذ كان يقع فى أرض جبلية شديدة الوعورة وبجوار نهر ذا مجرى مائى سريع ٠

وقد أدركت أجهزة المخابرات أن التخريب هو الوسيلة الوحيدة التى يمكن بواسطتهـا تدمير المصنع على ضوء الموقع الجغرافى له والظروف المختلفـة التى تحيط به ، وأن المواطنين النرويجيين اللاجئين الى بريطانيا يمكن أن يقوموا بدور ملموس فى تنفيذ هذا الهدف ٠ لذلك فقـد شرعت فى رسم خططها على هـذا الأساس والتى استمرت نحو ١١ شهرا ٠

وقد مر تنفيذ خطوات هذه العملية فى الواقع خلال ثلاثة مراحل متكاملة :

المرحلة الأولى :

وهى التى تبين فيها نقص المعلومات الضرورية عن موقع المصنع بالتحديد واعداد الجنود الألمان والنرويجيين الذين يتولون حمايته من الداخل والخارج ،

وتوقيت ونظام تغيير نوبات عملهم ، والمنافذ التى تؤدى الى المصنع ومنه ٠٠ الخ ، وقد تم ايفاد فريق من النرويجيين والانجليز الى النرويج لتحقيق هذا الهدف ونجحوا بالفعل فى معرفة كل ما يحتاجون اليه ٠

المرحلة الثانية :

تم فيها اختراق الحراسة التى تحيط بالمصنع والوصول الى الأماكن التى تصنع وتخزن فيها المياه الثقيلة ، وتدمير معمل التقطير العالى الذى يجرى فيه العمل الأساسى ، وقد تم فى هذه المرحلة تدمير ثلاثة آلاف رطل من هذه المياه هى متوسط انتاج المصنع لمدة عام كامل ٠

المرحلة الثالثة :

تبين فى هذه المرحلة شروع المسئولين الألمان فى نقل بعض أجزاء المصنع وكميات من المياه الثقيلة تقدر أيضا بثلاثة آلاف رطل ــ الى مكان أكثر أمنا بالأراضى الألمانية ــ وقد قام العملاء البريطانيون بتنفيذ أهداف هذه المرحلة بنجاح يماثل ما حققوه فى المرحلتين السابقتين حيث تمكنوا من اغراق السفينة التى كانت ستقل هذه المياه الى ألمانيا بجميع حمولاتها ٠

رابعا ــ الدور الذى قامت به المخابرات العلمية :

اهتمت المخابرات البريطانية كما سبق أن أوضحنا فى الوسائل التى استخدمتها بالمخابرات العلمية ٠ وقد قام الجهاز الذى أنشأته فى هذا المجال بجمع المعلومات الفنية والعلمية الخاصة بالاختراعات الألمانية الحديثة الحربية أو المدنية ، واتخاذ الاجراءات الكفيلة ــ بالتعاون مع الأجهزة الأخرى ــ بمقاومة خطر الأسلحة السرية أو التسهيلات الفنية التى تتيحها التكنولوجيا للأجهزة الهجومية الألمانية ٠

وسنقتصر خلال تناولنا لانجازات المخابرات العلمية على ايضاح عملين قامت بهما وكان لهما أهمية خاصة الأول يتعلق بالحد من فاعلية نظام القصف الأعمى الذى استخدمته الطائرات الألمانية فى الاغارة بنجاح على بريطانيا ، والثانى خاص بالاغارة على قرية برونيفال التى كان يوجد بها محطة رادار ألمانية كبيرة ٠

نظام القصف الأعمى :

كان أشد ما أقلق بريطانيــا خــلال المراحل الوسطى والأخيرة للحرب ، الغارات الجوية الليلية المستمرة التى كانت تقوم بها قاذفات القنابل الألمانية على أراضيها وتكبدها خسائر كبيرة فى الأرواح والمنشئات • وقد ساعد على نجاح هذه الغارات استخدام الألمان للاختراعات العلمية الحديثة فى ارشاد الطائرات المغيرة الى أهدافها بدقة كبيرة ، بصرف النظر عن الأحوال الجوية المتقلبة أو الظلام السائد • (**استخدمت فى بادىء الأمر نظام القصف الأعمى بواسـطة الموجات اللاسلكية ثم بواسطة جهاز أشعة اكس للتعمية ثم ما سمى بجهاز واى** ••) •

لذلك قام جميع العاملين فى مجال المخابرات العلمية فى بريطانيا بتسخير كل الجهود والامكانيات المتاحة فى اكتشاف الوسائل الفنية المضادة التى يمكن بواسطتها الحيلولة دون تحقيق أهداف سلاح الطيران الألمانى • وقد استعانوا فى ذلك بالمعلومات التى أدلى بها الطيارون الألمان الذين تم استجوابهم بعد وقوعهم فى الأسر ، أو ببقايا المعدات والوثائق التى عثر عليها بين حطام الطائرات ـ فضلا عن الخبرات العلمية لكبار علماء الطبيعة •

واذا أردنا ادراك أبعاد نجاح الأجهزة البريطانية فى اكتشاف أسرار نظام القصف الأعمى وابطال فاعليته نشير الى أنه قد جنب بريطانيا بصفة عامة ولندن بصفة خاصة خطر التدمير وبالتالى حال دون التأثير فى امكانياتها العسـكرية وخفض الروح المعنوية لشعبها واجبارها على قبول الحل الوسط الذى تطالب به ألمانيــا •

غارة برونيفال :

لكى يكتمل الحـديث عن الدور الهـام الذى قامت به المخـابرات العلمية البريطانية لا بد أن نشير الى ما يعرف فى تاريخ الجاسوسية بغارة برونيفال • وقد تم تنفيذ هذه الغارة بعد الحصول على معلومات عن طريق التصوير الفوتوغرافى من الجو وبعض العملاء البريطانيين ـ تشـير الى وجود موقع كبير خاص بأحـد محطات الرادار الألمانية فى قرية برونيفال الفرنسية وكان يوجد بها نوع جديد من أجهزة الرادار لم تعرف عنه بريطانيا سوى القليل (**يسمى بجهاز فورزبرج**) •

أدرك المسئولون عن أجهزة المخابرات أن تدمير هذه المحطة من الجو سيحقق لهم فائدتين (**الحيلولة دون الارشاد عن مواقع الطائرات البريطانية فوق المنطقة التى توجد بها هذه القرية ودون استعانة قاذفات القنابل الألمانية بها خلال غاراتها على انجلترا**) الا أنه سيحرمهم من ناحية أخرى من معرفة أسراره الفنية التى يهمهم الحصول عليها ، لذلك سعوا الى استخدام احدى الوسائل التى تحقق لهم كافة الفوائد الممكنة ، فأرسلوا ببعض قوات الكوماندوز الى القرية وتمكن أفرادها من التسلل الى محطات الرادار وفك الأجهزة الهامة التى توجد بها ونقلها وبذلك كسبت بريطانيا أحد المعارك الهامة للمخابرات العلمية خلال الحرب العالمية الثانية .

خامسا ـ الحرب النفسية :

يلاحظ بالنسبة للحرب النفسية التى شنتها الدول المختلفة ضد بعضها البعض خلال الحرب الثانية ، احتلال بريطانيا للمركز الأول فيما بينها سواء من حيث مدى تأثيرها أو عدد الأجهزة التى خصصتها للقيام بها ، أو الامكانيات الفنية والبشرية والمادية التى سخرتها لها ، أو الجهات التى وجهت اليها وقد حققت الحملات النفسية نتائج على جانب كبير من الأهمية بتأثيرها الفعال على الروح المعنوية لقوات وشعوب الحلفاء والمحور على حد سواء ، وكسب بعض المعارك الحربية بدون قتال . ولن نتجاوز الحقيقة اذا قلنا أن تأثير سلاح الحرب النفسية البريطانية تساوى فى كثير من الأحيان مع فاعلية أسلحة الحرب الأخرى . وليس أدل على ذلك من قيام المسئولين الألمان بمصادرة أجهزة الراديو داخل أراضيها ، وفى الدول التى احتلتها ، وفرض عقوبات متنوعة على من يحوزها فضلا عن القيام بعمليات تشويش للحيلولة دون تحقيق هذه الحرب لنتائجها المرجوة .

وقبل أن نتعرض لانجازات بريطانيا فى مجال الحرب النفسية والتى كان لأجهزة المخابرات الدور الأساسى فيها (**فى التخطيط والتنفيذ ـ والاشراف ـ والتوجيه والتنسيق .. الخ**) يجب أن نشير الى العوامل المختلفة التى أدت الى نجاح بريطانيا بصفة خاصة فى الحصول على أفضل النتائج من وراء استخدام هذا السلاح والتى تعتبر فى نفس الوقت دروسا مستفادة يجب مراعاتها عند تخطيط وتنفيذ أى برنامج مماثل ومقارنتها بتلك التى أدت فى كثير من الأحيان

الى فشل الحرب النفسية التى شنتها الأجهزة الألمانية ضد الحلفاء • وأهم هذه العوامل :

- **مراعاة الصدق فى المعلومات التى تنشرها أو تذيعها عن مصادرها أو التى تنقلها عن المصادر المعادية الى حد الاعتراف بالهزائم الكبيرة التى منيت بها بريطانيا مما أعطاها ثقلا خاصا لدى مواطنى الحلفاء والمحور على حد سواء • ومن ناحية أخرى كان الطابع الذى سيطر على أجهزة الدعاية الألمانية خلال هذه الفترة هو المبالغة فى التفاخر بامكانيات ألمانيا ، وانتصاراتها الحربية ، والتقليل فى نفس الوقت من قيمة انتصارات الحلفاء وهو ما أدى الى عكس النتائج التى هدفت اليها فى كثير من الأحيان •**

- **تجنب تضارب الأقوال فى جميع المواد التى تنشرها أو البرامج التى توجهها مهما اختلفت اللغات التى تستخدمها لهذه الأغراض وتعددت الشعوب التى توجه اليها •**

- **كثرة وتنوع وسائل الدعاية التى استخدمتها (برامج اذاعية خاصة وعامة ـ اذاعات خاصة بحكومات المنفى التى اتخذت من لندن مقرا لها ـ صحف منشورات ـ كتيبات وخلافه ••) فضلا عن استخدام عدد كبير من اللغات فى توجيه المواد الدعائيــة الى الشعوب الأوروبية المختلفة ، ممــا أدى فى النهاية الى تحقيق النتائج الكبيرة التى توصلت اليها خلال الحرب •**

- **الأخطاء التى وقعت فيها أجهزة الدعاية الألمانية ، وهى تعتبر من بين أهم العوامل التى ساعدت على نجاح برامج الحرب النفسية البريطانية ، سواء من حيث عدم مراعاة هذه الأجهزة للصدق فى بعض الأحيــان أو تناقض أقوالها فى أحيان أخرى ، الأمر الذى أدى بطبيعة الحال الى فقدان الثقة فى هذه الأجهزة وتناقص عدد المستمعين الى برامجها الاذاعية أو القارئين لموادها المكتوبة •**

انجازات الحرب النفسية :

سيتبين لنا خلال تناول هذه الانجازات الجانب التطبيقى لما سبق الحديث عنه فضلا عن الدلائل التى تؤكد ما سبق أن أوضحناه عن تفوق أجهزة الدعاية

البريطانية ، كما سيتسنى لنا أيضا خلال ايضاح هذه الانجازات ادراك مدى مساهمتها فى تكوين الشكل النهائى للمكاسب التى حققتها أجهزة المخابرات البريطانية خلال الحرب الثانية وتتلخص أهمها فيما يلى :

◉ الحيلولة دون ايجاد تعاون فعال بين الاسطولين الايطالى والألمانى ببث الفرقة بين شعبى الدولتين وجنودهما . وقد دفع الأجهزة البريطانية للتحرك فى هذا الاتجاه ادراك الحلفاء لخطورة اتجاه هتلر فى أواخر عام ١٩٤٢ وأوائل ١٩٤٣ نحو استخدام الاسطول الايطالى فى تأييـد مشروعاته للسيطرة على بعض المناطق الاستراتيجية فى البحر المتوسط كجبل طارق ومالطة ـ وقد قام هذا التحرك على أساس :

١ ـ ان البحرية الألمانية تعتبر الاسطول الايطالى وقودا وهدفا سهلا لمدافع الحلفاء •

٢ ـ ان ألمانيا على استعداد للتضحية به اذا تمكنت من انقاذ قوات روميل عن طريقه •

٣ ـ فرض المسئولون الألمان على سفن الشحن الايطالية اجلاء قوات روميل، وترك القوات الايطالية فى نفس المنطقة رغم حاجتها لمساعدات مماثلة •

٤ ـ احتقار الشعب الألمانى للشعوب الأخرى ومن بينها الشعب الايطالى واعتقاده بسموه على غيره ، وسيطرته بالتالى على شئون الايطاليين •

◉ توجيه الاسطول الايطالى نحو التسليم دون قتال وعدم التعرض لزحف الحلفاء نحو ايطاليا وقد ساعد على ذلك :

١ ـ ما كان معروفا عن معارضـة الاسطول للاستمرار فى الحرب بسبب تعرضه لهزائم متكررة فى بداية الحرب •

٢ ـ نجاح الحملات الأولى لمنع التعاون بين الاسطولين الألمانى والايطالى •

٣ ـ الاتصالات الجانبية بين رجال البحرية البريطانية والايطالية •

◉ رفع الروح المعنوية للشعوب الأوروبية التى خضعت للاحتلال الألمانى خاصة الفرنسية واليوغسلافية والبولندية والتشيكية وتشجيعهم على الصمود وتقديم النصح لهم وتوجيههم للقيام بأعمال تضر بالمجهود الحربى الألمانى .

◉ خفض الروح المعنوية للشعب والقوات الألمانية خاصة فى المراحل الوسطى والأخيرة للحرب . فضلا عن استسلام عدد كبير من الجنود الألمان حرصا على حياتهم وللاستفادة بالمعاملة الطيبة التى وعدتهم بها أجهزة الدعاية البريطانية .

القسم الرابع

المخابرات الالمانية

الفصل الأول

العوامل التى دفعت ألمانيا لدخول الحرب

معروف أن ألمانيا هى الدولة التى تسببت فى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وتحريك العمليات المختلفة للمخابرات التى تمت خلالها ، وبالتالى أحداث تغييرات أساسية فى أهم فترة زمنية فى التاريخ المعاصر . واذا توخينا الحقيقة فاننا يجب أن نوضح أن الأسباب التى دفعت ألمانيا لاشعال هذه الحرب ، تمتد جذورها الى طبيعة الظروف التى أعقبت هزيمتها فى الحرب الأولى أى بالتحديد الى اتفاقيتى الهدنة وفرساى ، اللتين نظمتا العلاقات بين ألمانيا ودول الحلفاء . حيث كان من أهم نتائج هاتين الاتفاقتين تنمية شعور الانتقام لدى الشعب الألمانى ، والتمهيد فى المدى الطويل لقيام الحرب الثانية . ولكى تتضح لنا بالكامل أسباب نشوب الحرب يجب أن نلقى نظرة سريعة على أهم بنود الاتفاقيتين المشار اليهما وهى على الوجه التالى :

- **فرض عقوبات اقتصادية كبيرة على ألمانيا لم تستطيع تحملها (انهارت قيمة المارك الألمانى الى أدنى درجة) بالاضافة الى القيود العسكرية الأخرى التى تتعلق بالتسليح وقوة الجنود والخدمة الاجبارية .**

- **اقتطاع مناطق واسعة من حدودها الشرقية وضمها لبولندة ومنحها أيضا ممرا يشق قلب الأراضى الألمانية ويصل الى ميناء دانزج على بحر البلطيق وجعل السيادة عليه لها (كانت مشكلة ميناء دانزج السبب المباشر فى نشوب الحرب العالمية الثانية) فضلا عن ضم السوديت الألمانى الى تشيكوسلوفاكيا وهو يضم ثلاثة ملايين مواطن ألمانى قدموا لهتلر فيما بعد مبررا كافيا لغزو تشيكوسلوفاكيا واعلان انفصال دولة سلوفاكيا عنها .**

- **منع اقامة اتحاد بين النمسا وبينها (كانت النمسا من أوائل الدول التى شهدت نشاطا واسعا لأجهزة المخابرات الألمانية تمهيدا لاتحادها مع ألمانيا عام ١٩٣٨ وكان هذا الاتحاد أول اجراء فى سلسلة التحركات الواسعة التى اتخذتها بعد ذلك) .**

من الطبيعى أن تؤدى مثل هذه الاجراءات فى المدى الطويل التى تنميه شعور الانتقام لدى الشعب الألمانى ، وانتهازه لأى فرصة للتنصل منها والعمل على محو آثارها ، وهو ما حدث بالفعل عام ١٩٣٣ • فحينما تولى الحزب النازى الحكم فى ألمانيا فى هذا العام ، أيدته معظم فئات الشعب الألمانى وسعى منذ ذلك الوقت الى التخلص تدريجيا من بنود معاهدتى الهدنة وفرساى ، ثم تحول بعد ذلك الى سياسته التوسعية المعروفة •

واذا ما تحرينـا الدقة أكثر فان العوامل السابقة لم تكن لتؤدى الى كل ما صارت اليه الأمور بعد ذلك ، حيث لم يكتفى هتلر بالاستيلاء على الأراضى الألمانية التى منحت لبولندة وتشيكوسلوفاكيا ، بل احتل كذلك نصف الأراضى البولندية وفرض سيطرته على تشيكوسلوفاكيا والنمسا ، ثم شملت توسعاته بعد ذلك جميع أجزاء القارة الأوروبية فيما عدى بريطانيا والسويد وشبه جزيرة ايبيريا •

اذن هناك عوامل أخرى بالاضافة الى اتفاقيتى الهدنة وفرساى هى التى حركت هذه التوسعات ــ تجد تفسيرا لها فى شخصية هتلر ، ومبادىء الحزب النازى ومواقف الدول الكبرى من السياسة الألمانية • وهى كما يتضح لنا مزيج من عوامل التأثير والتأثر لا يمكن تجزئتها أو فصلها عن بعض • لذلك سنتناولها ككل لايضاح الجانب الآخر من أسباب التحرك الألمانى تمهيدا لتقييم انجازات المخابرات التى تتصل بها اتصالا وثيقا ، وهى على الوجه التالى :

- **تعصب هتلر وزعماء حزبه للقومية الألمانية واعتقادهم بأن الجنس الجرمانى من أنقى السلالات البشرية فى العالم ، ويحق له تبعا لذلك التوسع ، وايجاد مجال حيوى له خاصـة وأن موارد ألمانيا ومساحتهـا تضيق عن استيعاب الحاجات والاعداد المتزايدة للشعب الألمانى •**

- **صفات الطموح والعناد وحب الزعامة والانفراد بالسلطة ، التى اتسم بها هتلر وجعلته يقضى بقسوة على جميع الحركات الداخلية المناهضة له ــ والتى قد تحول دون تطرف سياسته ــ ويلهب حماس الشعب الألمانى وتوجيهه للتطلع الى سياسة توسعية غير محسوبة النتائج •**

- **رفع الحزب النازى لشعارات ومبادىء متطرفة مثل :**

١ ــ التضحية بالفرد فى سبيل الدولة ، وتسخير جميع طاقات المجتمع فى خدمتها •

٢ – تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية ، وضرورة استمرار الحرب لأن توقفها يعنى فناء الدولة •

٣ – جواز التحلل من نصوص القانون والمعاهدات الدولية فى سبيل تحقيق السياسة الألمانية •

٤ – العداء الشـديد للنظام الشيوعى (كان ذلك من أهم أسـباب هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفييتى) •

◉ رفض هتلر قبول انذار انجلترا وفرنسا له بعدم الهجوم على بولندة ، نظرا لتوقعه الخاطىء بعدم جدية هذا الانذار مثلما حدث قبل ذلك عند اتمـام الاتحـاد مع النمسـا والاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا (لم تتخـذ فرنسـا أو انجلترا أى خطوات جدية لمعارضة هذين الاجرائين) •

◉ اعلان انجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا لتقديرهما أن السياسة التوسعية الألمانية قد أخلت جـذريا بميزان القوى فى القـارة الأوروبية لصالحها ، وأضرت بمصالحهما الاستراتيجية بشكل لا يمكن التغاضى عنه • ولم تقبلا لذلك العروض الألمانية بعقد اتفاق صلح على أساس الأمر الواقع واحتفاظ ألمانيا بالأراضى التى استولت عليها •

◉ استمرار ألمانيـا نتيجة لذلك فى سياستهـا التوسعية بعـد أن كانت على استعداد للتوقف عند الحدود التى انتهت اليها فتوحاتها والاكتفاء بالمكاسب التى حققتها • وقد أدت ظروف سير المعارك بعد ذلك الى اتجاه الحرب فى غير صالحها ، بعد أن تكبد الجانبان على حد سواء خسائر لا يمكن أن تقدر فى الأرواح والعتاد والأموال •

واذا ما تعرضنا للوسائل التى استخدمتها ألمانيا فى تحقيق أهدافها فاننا سنجد أن أجهزة مخابراتها كانت من أكثر هذه الوسائل فعالية • وقد قام هتلر بتدعيمها وانشاء فروع متعددة وقوية لها ، كما أطلق لقادتها سلطات واسعة سواء فى الامكانيات أو الاختصاصات • وقد مهـدت كل هذه العوامل – كما سنرى فى الفصول التالية – الى تحقيق كثير من الانتصارات الحربية خاصة فى السنوات الأولى للحرب •

الفصل الثانى

أهداف المخابرات الألمانية ووسائلها

تقـديم :

لا شك أن الحديث عن أعمال المخابرات الألمانية يعتبر عملا شاقا لا يخلو من المجازفة بالتعرض للنقد ، والاتهام بالتحيز أو عدمه لجانب دون الآخر ، ويزيد من هذه الصعوبة أن الغالبية العظمى من الكتـاب الذين تنـاولوها بالتحليل أو السرد ، ينتمون الى الدول التى خاضت الحرب ضد ألمانيا ، ومن ثم فلم يستطع بعضهم مغالبة عاطفتهم والامتناع عن توجيه نقد شديد لبعض هذه الأعمال ، فى مواضع لا تحتمل مثل هذه الدرجة من النقد ، أو الهجوم على أعمال أخرى يجب توجيه الثناء اليها لو قدر لألمانيا أن تنتصر فى الحرب ·

ولن أنصب نفسى مدافعا عن مخابرات النازى وانما سأقوم بمحاولة لابراز الجوانب التى أهملها بعض الكتاب الغربيون ، أو أنقصوا من قدرها ، وتوضيح الانجازات التى حققتها أجهزتها الايجابية والوقائية والتى مهدت للانتصار فى كثير من المعارك الحربية الهامة · كما سنشير أيضا الى العمليات التى نجحت فى تأخير تاريخ انهيار ألمانيا ، حيث كان من المعروف منذ عام ١٩٤٢ أنها لن تستطيع كسب الحرب ، الأمر الذى دفعها الى تغيير استراتيجيتها بالتزام جانب الدفاع ومحاولة التوصل الى حل وسط مع الحلفاء ، ثم سعت بعد ذلك الى تأخير هزيمتها بقدر الامكان عن طريق عدة وسائل من بينها عمليات المخابرات ·

بعد هذا التقـديم لأعمال المخابرات الألمانية ننتقل الى تنـاول أهدافهـا ووسائلها وسنعمد خلال تناولها بالدراسة الى مزج الأهداف والتنظيمات معا فى حيز واحد ــ فى المرحلة الأولى ، بهدف تسهيل احتمالات المقـارنة والبعد عن السرد ــ ثم نتعرض بعد ذلك فى قسم مستقل للوسائل الأخرى (دون هذه التنظيمات) والتى استخدمتها المخابرات الألمانية فى تحقيق أهدافها ·

أولا ـ الأهداف والتنظيمات :

بقدر ما تعددت الأهداف التى سعت ألمانيا الى تحقيقها بقدر ما تنوعت ادارات المخابرات التى أقيمت لتنفيذها • ففى مجال السياسة الخارجية كان من الواضح عزمها على استعادة الأراضى التى اقتطعت منها وضم أراضى أخرى تنفيذا لمبادئها المعروفة • وقد تولى قسم المخابرات التابع لوزارة الخارجية **(والذى كان يضم ادارة تتولى التنسيق بين أعمال جميع السفارات والقنصليات فى الخارج)** ـ المساهمة فى تحقيق هذا الهدف وذلك عن طريق استكمال المعلومات الأساسية عن الشئون الداخلية والخارجية لكل دولة تهتم بها ألمانيا مستغلة فى ذلك الوسائل العلنية بصفة أساسية ـ وقد سار فى نفس الاتجاه الملحقون العسكريون **(الجويون والبحريون والحربيون)** التابعين للقيادة العليا الألمانية •

وقد قامت ادارة المخابرات الحربية ;Abwiehr عن طريق أقسامها المختلفة بتكملة النقص فى المعلومات المتوافرة عن هذه الدول عن طريق الوسائل السرية المعروفة فضلا عن عمليات التخريب المادى والمعنوى ، وحين ازدادت رقعة الأراضى التى احتلتها ألمانيا أضيفت لها أعباء جديدة ، وهى تأمين سلامة القوات الألمانية فى هذه الأراضى والقضاء على القلاقل والاضطرابات التى تقوم بها منظمات المقاومة الشعبية ، وقد ساعدها فى أداء هذه الأعباء ادارة الجستابو •

أما فى المجال الداخلى فقد كانت الأهداف واضحة كمثيلاتها فى المجال الخارجى وقد نبعت أولا من رغبة هتلر فى تأمين نظام حكمه فى الداخل ، وثانيا الحيلولة دون نجاح محاولات اغتياله ، وأخيرا القضاء على شبكات التجسس الأجنبية التى تحاول اختراق أمن ألمانيا • وقد قام بتنفيذ هذه الأهداف الادارة الرئيسية لأمن الرايخ RSHA بأقسامها الستة **(من بينها الجستابو)** • بالاضافة الى ادارات الشرطة المحلية والمنظمات الخاصة الأخرى **(جهاز أبحاث القوات الجوية الذى يراقب الاتصالات السلكية واللاسلكية الأخرى ••)** •

ثانيا ـ الوسائل الأخرى :

هناك ظاهرة تفرض نفسها قبل أى شىء آخر عند الحديث على الوسائل الأخرى التى استخدمتها المخابرات الألمانية فى تحقيق أهدافها ، وهى كثرة استعمال العنف والقسوة البالغة التى وصلت فى كثير من الأحيان الى حد الاعدام الجماعى ، وبالآلاف لمواطنين ألمان أو لأهالى الدول التى احتلتها • ورغم مبالغة المصادر الغربية فى تقدير أرقام الأنفس التى راحت ضحية هذه الأعمال ، الا أنها تشير بوضوح الى الجرائم التى ارتكبتها الأجهزة النازية فى حق أبسط

القواعد الانسانية ، والتى لم يكن لها مبرر فى النهاية سوى ضمان السيطرة والسيادة الألمانية •

وفضلا عن استعمال القسوة استخدمت المخابرات الألمانية وسائل أخرى فى تحقيق أهدافها يمكن ايجاز أهمها فيما يلى :

- **استغلال دافع المال أو السلطة أو الكراهية لنظام الحكم القائم فى تجنيد مواطنى الدول التى احتلتها وغيرهم - (من بينهم اللورد هاوهاو صاحب البرنامج الاذاعى الألمانى المشهور الذى كان يسمى باسمه وهو من أيرلندة وكان يكره بريطانيا كرها شديدا ••) •**

- **تجنيد المواطنين الألمان المتعصبين للجنس الجرمانى أو للنظام النازى •**

- **استخدام الجنس للحصول على المعلومات ، أو للايقاع بأفراد شبكات التجسس المضادة أو القيام بأعمال خاصة أخرى • وقد أقامت المخابرات الألمانية مشروعا يسمى (بعملية بنطلون) لاستخدام النساء الشبقات فى خدمة أغراضها ، وقد نجح فى تحقيق أهداف حيوية - سنشير اليها فى الفصول التالية • ومما يجدر ذكره فى هذا الشأن الشبكة الواسعة من العميلات الألمانيات اللاتى اشتغلن خادمات بمنازل كبار القادة والموظفين البريطانيين • (يلاحظ أن المخابرات اليابانية والسوفييتية قد استخدمتا الجنس أيضا بكثرة فى خدمة أغراضهما) •**

- **استغلال تنظيماتها المتعددة والسابق الاشارة اليها فى القيام بتخريب المصانع والكبارى والمطارات والسفن والطائرات •• فضلا عن استخدام الوسائل المختلفة للحرب النفسية فى تحطيم الروح المعنوية لأعدائها والتحريض على التمرد والثورة فى صفوفهم •**

الفصل الثالث

انجازات أجهزة مقاومة الجاسوسية

حققت المخابرات الألمانية كما سبق الاشارة ، عديد من الانتصارات الملموسة سواء فى الميدان الداخلى أو الخارجى • ولا يقلل من قيمة هذه الانتصارات اغفال الحديث عنها من جانب كثير من الكتاب الغربيين أو تقليلهم من شأنهـا • كما لا ينقص من أهميتها الفشل الذى واجهته فى بعض الميادين • وسنتعرض فيما يلى لأهم أعمالها ومدى تأثير هذه الأعمال على سير كثير من المعارك الحربية • وتسهيلا للدراسة سنقسمها الى أعمال وقائية وأخرى ايجابية •

الاعمال الوقائية :

نجحت أجهزة مقاومة التجسس فى مواجهة النشاط المتعدد الجوانب لمخابرات الحلفاء ، سواء داخل الأراضى الألمانية أو فى المناطق التى احتلتها • ولا يعنى ذلك اخفاق المخابرات المضادة فى اختراق الأسرار الألمانية ، أو نجاح الأجهزة الألمانية فى تأمين هذه الأسرار بصفة مستمرة ، كما اتضح فى الفصول السابقة ، وفيما يلى أهم الأعمال التى قامت بها :

أولا ــ تأمين نظام الحكم الداخلى :

واجه الحكم النازى محاولات متكررة للاطاحة به من الداخل ، يرجع تاريخ بعضها الى العام التالى مباشرة لتوليه السلطة (١٩٣٤) • كما جرت محاولات عديدة أخرى لاغتيال هتلر • وقد اتخذت هذه المحاولات طابعا جديدا عنـدما أوشكت ألمانيا على دخول الحرب وتسببت فى نشوبها بعد ذلك ، حيث تغير هدف الاشتراك فيها من مجرد السيطرة على الحكم الى تجنيب ألمانيا الانهيار ، والتورط فى حرب غير محسوبة النتائج ضد حلفاء عرف عنهم الصـلابة فى الدفاع عن

مصالحهم · كما حدث أيضا تغيير فى الأطراف التى قامت بهذه المحاولات ، حيث دخلت مخابرات الحلفاء أطرافا رئيسية فيها لمحاولة وقف الحرب قبل استفحالها وتقليل الخسائر المتوقعة بقدر الامكان ·

وفقت الأجهزة الألمانية فى القضـاء على جميع هذه المحـاولات بكفاءة مع استخدام القسوة والعنف فى كثير من الأحيان لمواجهتها ، كالاعدام الجماعى لاعداد كبيرة من المتآمرين كان من بينهم كناريس رئيس المخـابرات الحربية والفيلد مارشال روميل · **(ذكر أحد المصـادر أنه قد تم اعتقال أكثر من ٢٠ ألف من الألمان فى الفترة من ١٩٣٣ وحتى ١٩٣٩ كما حكم الاعدام على ٤٠ ألف بين عامى ١٩٣٣ ، ١٩٤٥) ·**

ومن الجدير بالذكر أن كفاءة المخابرات الألمانية فى هذا المجال هى التى أدت بطريق غير مباشر الى دمار ألمانيا واصابتها فى كيانها ومستقبلها ـ اذ لو كانت احدى هذه المؤامرات قد أفلتت من رقابتها المحكمة ، لتولى الحكم الجديد الذى تأتى به عقد صلح مبكر مع الحلفاء ، وايقاف الحرب والحيلولة دون حدوث النتائج التى لحقت بألمانيا وما زالت تعيش واقعها حتى الآن · ومع ذلك فلم يكن هناك من وجهة نظر الحزب النازى والقواعد الأساسية للمهنة أى لوم يلقى على هذه الأجهزة فى ذلك الحين ·

ومن أهم العمليات البارزة فى هذا الشأن اعتقال بعض ضباط المخابرات البريطانيين الملحقين بفرع المخابرات الانجليزية فى هولندة ، والذين كانوا على صلات سرية مع المواطنين الألمان المعادين للنازية · وقد قام عملاؤها بايهام هؤلاء الضباط أن هناك مؤامرة واسعة للاطاحة بحكم هتلر يجرى تدبيرها ، وهى لذلك تستدعى مساعدتهم · وقد تدرج هـذا الخداع الى حـد استدراجهم الى الحدود الألمانية الهولندية والقبض عليهم هناك ·

ثانيا ـ القضاء على كثير من شبكات الحلفاء :

وجهت الدول التى خاضت الحرب ضد ألمانيا ، خاصة بريطانيا والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ، جزءا كبيرا من اهتمامها لالحاق الهزيمة بها فى الأراضى التى احتلتها **(هولنـدا ـ بلجيكا ـ فرنسـا ـ النرويج ـ اليونان ـ تشيكوسلوفاكيا ـ بولندة ـ رومانيا ـ يوغسلافيا ـ بلغاريا)** كجزء من مجهودها الشامل للانتصار عليها ـ وقد ساعدها على ذلك مواطنى هذه الدول ومنظمات المقاومة الشعبية المحلية ·

ورغم هذا التكالب من جانب الحلفاء ، استطاعت الأجهزة الألمانية المختصة خاصة فى أوائل الحرب وفى منتصفها الكشف عن عدد كبير من شبكات التجسس ومنظمات المقاومة ، ومن بين أهم العمليات فى هذا المجال ـ والتى كان لها صدى كبير حينئذ ـ ما يسمى بعملية انجلند شبيل ٠٠ أو نوردبول وقد قامت المخابرات الألمانية فى هذه العملية بالقضاء على شبكة المخابرات البريطانية فى هولندة ـ والاستمرار بعد ذلك فى خداع الأجهزة المركزية التى تشرف عليها فى لندن لأكثر من سنتين باستخدام ١٨ جهاز لاسلكى من بين التى تم الاستيلاء عليها ٠

وقد كان لأجهزة تحديد الاتجاه التى تطورت تطورا كبيرا بواسطة العلماء الألمان ـ الفضل فى اكتشاف هذه الشبكة ، حيث تمكنت من تضييق الدائرة حول المنازل التى يشك أن بها جهازا للارسال اللاسلكى ٠ وبالفعل تم القبض على عميلين بريطانيين كانا يتصلان برؤسائهما فى لندن ، واحراز الجهاز وكتـاب الشفرة اللذين كانا يستخدمانهما ٠

وقد تبين أن المسئولين الألمان قد اتبعوا وسيلة تقليدية ـ الا أنها فعالة ـ لخداع المشرفين على هذه الشبكة فى العاصمة البريطانية ـ فبعد أن تمكنوا من معرفة الشفرة المستخدمة أقنعوا أحد العملاء بالاتصال بلندن باستخدام نفس الجهاز فى مقابل تأمين حياته ، واستمروا بعد ذلك فى الحصول على كافة المعلومات الممكنة وتشغيل باقى الأجهزة التى تقع فى أيديهم ٠ ورغم حرص العميل الأول على استخدام الكود الذى يشير الى أنه تحت السيطرة الألمانية ، والذى درب عليه جيدا ـ أخفق مستقبل الارسال فى اكتشاف ذلك وهو ما كلف بريطانيا كثيرا وجعلها ضحية لأكبر شرك خداعى خلال الحرب العالمية الثانية ، وتسبب فى اعدام نحو ٥٠ عميلا واعتقال مائة وتسعين غيرهم ، وفقد مئات الشحنات من المتفجرات والبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية ٠

الفصل الرابع

الانجازات الايجابية

سنحاول خلال تناولنا لهذه الانجازات التوفيق بقدر الامكان بين التسلسل التاريخى للأحداث وبين الأهمية التى تميزت بها بعض الأعمال ، مع مزج الأحداث السياسية والمعارك الحربية بأعمال المخابرات من أجل استكمال جميع الجوانب الهامة لهذه الانجازات ، وسنبدأ بالحديث عن أحداث تشيكوسلوفاكيا •

أولا ــ الدور الذى لعبته المخابرات فى غزو تشيكوسلوفاكيا :

كان من الواضح ــ بعد اتحاد ألمانيا مع النمسا فى أبريل ١٩٣٨ ــ اتجاه هتلر الى الاستيلاء على الأقاليم التشيكوسلوفاكية المجاورة للحدود الألمانية والتى ضمت أجزاء منها كانت تابعة لألمانيا الى تشيكوسلوفاكيا فى أعقاب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ولا شك أن هناك عدة أسباب دفعته الى التعجيل بتنفيذ هذا المخطط :

- **سهولة تحقيق أهداف ألمانيا فى النمسا •**

- **عدم وجود رد فعل قوى من جانب الدول الغربية تجاه التحرك نحو النمسا وتوقع هتلر بأن يحدث نفس الشىء بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا •**

- **امكانية استغلال الأقلية الألمانية الكبيرة التى تقطن هذه الأقاليم (نحو ثلاثة ملايين نسمة) فى تحقيق هذا الهدف •**

- **الاسراع فى القضاء على العلاقات الطيبة التى كانت قائمة بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى لتدعيم الاتجاه نحو مكافحة الشيوعية الدولية بكافة الطرق •**

سعت المخابرات الألمانية من أجل تحقيق أهداف هتلر فى تشيكوسلوفاكيا الى تجنيد عدد كبير من المواطنين التشيك فضلا عن أعضاء الأقلية الألمانية من أجل تجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن كافة القطاعات العسكرية والمدنية بها ، كما قامت بالاتصال بالأقليات الأخرى التى تسكن الأقاليم التشيكوسلوفاكية **(الأقليات البولندية والمجرية والسلوفاكية)** للاستعانة بهـا فى تحقيق نفس الهدف • مما أدى فى النهاية الى استجابة تشيكوسلوفاكيا لكافة مطالب هتلر •

ولكى يتبين لنا أهمية الدور الذى قامت به المخابرات الألمانية نشير الى أن هتلر قد حجب تفاصيل غزو تشيكوسلوفاكيا عن وزارة الخارجية ، وأى وزارة أو هيئة أخرى ــ وعهد الى أجهزة المخابرات الألمانية وحدها بتخطيطه • ولا يعنى ذلك أن ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا **(تم اعلان اسـتقلال بعض الأقاليم التى كونت ما سمى حينئذ دولة سلوفاكيا فى مارس ١٩٣٩ ـ فرض توقيع معاهدة مع ألمانيا تضع بموجبها الأقاليم الأخرى والشعب التشيكى تحت حماية الرايخ الثالث)** قد تم بواسطة المخابرات الألمانية وحدها ، بل جاء ذلك نتيجة لتعاونها الكامل مع الأجهزة العسكرية الأخرى فى التنفيذ •

ومن الجدير بالذكر فيمـا يتعلق بغزو تشيكوسلوفاكيا الاشارة الى أحـد الانجازات الهامة التى حققتها المخابرات خلال المراحل الأخيرة من هذا الغزو ، وهو حصولها على جميع ملفات القيادة العليا التشيكوسلوفاكية سلمية ودون أن تمس ــ وكان من بينها نسخة من الكتـاب الفرنسى الأزرق الخاص بأسرار خط ماجينو ــ ومن الطريف والمهم فى نفس الوقت ايضاح أنه قد عثر مع هذا الكتاب على مذكرة تشيكية تفصيلية تحدد الوسائل التى يمكن بواسطتها اختراق هذه الحصون ، وهو ما ساعد القوات الألمانية كثيرا عند غزوها لفرنسا فيما بعد •

ثانيا ــ غزو بولندة :

كان غزو ألمانيا لبولندة فى أول سبتمبر ١٩٣٩ متوقعا حتى قبل أن تخضع النمسا وتشيكوسلوفاكيا ــ نظرا لرغبتهـا فى استرداد الأراضى الألمانية التى ضمت اليها فى أعقاب الحرب الأولى وفى محو ما اعتبرته « عار دانزج » • وقد مهد هتلر لهـذا الغزو بمطالبته فى أبريل ١٩٣٨ بجعل دانزج دولة مسـتقلة استقلالا ذاتيا فى اطار ألمانيا ، ووضع الممر الذى يتصل بالميناء تحت سيادتها ، كما أعلن أيضا عدم التزام بلاده بميثاق عدم الاعتداء الذى عقدته مع بولندة عام ١٩٣٤ ، ابان محاولات التهدئة المؤقتة من جانب الحزب النازى للدول المجاورة عقب توليه الحكم مباشرة •

وكما هو متوقع لعبت أجهزة المخابرات دورا رئيسيا فى التمهيد لهذا الغزو والأمر الذى نريد ايضاحه فى هذا المجال هو أننا لا نرغب فى ارجاع فضل نجاح الغزو كلية الى أعمال المخابرات حيث كان من المعروف جيدا حينئذ مدى قوة استعدادات الجيش الألمانى بالمقارنة بمثيلاتها فى بولندة ـ الا أن هذه الأعمال من ناحية أخرى كان لها دور بارز فى تبرير الغزو الى حد ما أمام الرأى العام العالمى وفى سرعة انتهاء مقاومة الجيش البولندى رغم قدراته العسكرية والعددية النسبية ٠

ونظرا لأن الحزب النازى قد جعل بولندة ضمن تحركاته الأساسية ، فقد اهتم بتكوين شبكات متعددة فيها للحصول على كافة المعلومات الحيوية عن جميع قطاعاتها الرئيسية مستخدما فى ذلك كثير من العملاء البولنديين الذى قبلوا التعامل معه لدوافع مختلفة منها الحزازات الشخصية أو المال أو التسلق الوظيفى ٠٠ كما اعتمد أيضا فى الحصول على هذه المعلومات على كثير من العملاء الألمان الذين أجادوا عملهم لتحمسهم الشديد لاسترداد أراضيهم أو لمجرد تواجدهم وظيفيا فى تنظيم يسعى لتحقيق هذا الهدف ٠ وكانت نسبة كبيرة من هؤلاء العملاء من الألمان الذين يقطنون ميناء دانزج أو الأراضى الألمانية التى ضمت لبولندة أو فى المناطق البولندية الأخرى ٠

وقد قامت المخابرات الألمانية فى مرحلة لاحقة بتدبير اعتداءات وهمية من داخل الحدود البولندية ، ضد الأراضى الألمانية من عدة مناطق ، بحيث تبدو للرأى العام العالمى فى صورة انتهاك للحدود من جانب بولندة ـ كما نظمت هجوم من جانب بولنديين وهميين على محطة الاذاعة الألمانية التى تقع بالقرب من الحدود البولندية ـ أثناء ارسالها العادى لافتعال محاولة للاستيلاء عليها بالقوة ، واذاعة حديث منها باللغة البولندية ضد ألمانيا ، بحيث يتاح لأى مستمع لها فى تلك اللحظة الاقتناع بحقيقة الحادث ، وبالتالى تقبل تبريرات ألمانيا التى صاحبت غزو قواتها لبولندة ٠

وكان على الأجهزة الألمانية أيضا أن تقوم بدور آخر أكثر أهمية وهو التكفل بسرعة تحطيم خطوط الدفاع البولندية وقد حصلت عن طريق عملائها المنتشرين داخل الجيش البولندى وفى كافة المناطق الاستراتيجية على معلومات عن كافة تحركات القوات البولندية وأماكن تجمعها ومواقع المطارات والطرق البرية وخطوط السكك الحديدية والجسور والكبارى ومخازن التموين والذخيرة والوقود ٠ وقد تولى الطيران الألمانى بعد ذلك العمل بهذه المعلومات ٠

ثالثا ــ غزو فرنسا :

فرنسا هى العدو التقليدى لالمانيا • وقد كان تاريخ العداء الطويل بينهما بصفة عامة (**احتلال نابليون لأجزاء من الأراضى الألمانية ـ غزو بسمارك لباريس عام ١٨٧٠ وضم الالزاس واللورين لألمانيا ••**) والنتائج التى ترتبت على الحرب العالمية الأولى بصفة خاصة (**استرداد فرنسا للالزاس واللورين ـ تشددها فى علاقاتها معها بعد هزيمتها دون باقى دول الحلفاء ـ اشرافها على منطقة السار الألمانية الغنية بالفحم ـ حصولها على أكبر نسبة من التعويضات ـ تشددها فى الرقابة على تسليحها ـ التدخل فى سياستها الداخلية واحتلال بعض أراضيها لضمان تسديد باقى التعويضات**) يشير الى حتمية نشوب الحرب بينهما مرة أخرى وقد عجل بوقوع هذه الحرب استكمال سيطرة ألمانيا على النمسا وتشيكوسلوفاكيا وتهديدها بابتلاع بولندة •

وقد قامت المخابرات الألمانية كالعادة بدور كبير فى التمهيد لغزو فرنسا وسرعة اختراق خط ماجينو (**فى مدى ثلاثة أيام فقط وقد تم ذلك من نقطة تلاقيه مع الحدود البلجيكية**) • ولا شك أن المعاصرين لهذه الأحداث فى الماضى ، وقارئى التاريخ فى الوقت الحاضر يتعجبون من كيفية اختراق القوات الألمانية لخطوط الدفاع الفرنسية المحصنة ، بمثل هذه السرعة والسهولة ، والتى وصفها تشرشل بعد زيارته لها بأنها لا يمكن مفاجأتها أو اقتحامها فى أى موضع منها الا ببذل جهودا جبارة وتضحيات عديدة فى الأرواح • الا أن المتفهم لأحداث هذه الفترة ، يدرك جيدا أن انتصار ألمانيا فى الحرب السرية هو الذى كفل لها الانتصار بعد ذلك فى ميادين القتال •

وكما حدث بالنسبة لبولندة ــ قامت المخابرات الألمانية بتغطية فرنسا بشبكة واسعة من الجواسيس الألمان ، كما جندت عددا كبيرا من الفرنسيين من بينهم ضباط ذوى رتب عالية بالجيش والبحرية والطيران ، مستغلة نفس الدوافع التى جندت بواسطتها البولنديين • وامعانا فى الاهتمام بهذا المشروع ودقة تنفيذه قامت بانشاء قسم خاص يشرف على تنفيذه لاعطائه العناية التى يستحقها •• وقد استطاعت الحصول على خرائط مختلفة عن تحصينات خط ماجينو واحصائيات عن القوات التى ترابط فيها من بعض الضباط الذين يعملون بها • كما حصلت على المعلومات المدونة فى ملفات قائد الاسطول الفرنسى بواسطة ضابط فرنسى صغير وقع فى حبائل احدى عميلات الألمان وأخرى خاصة بجميع المطارات الفرنسية وتسليحها وتجهيزها وأطقمها •

رابعا ـ تجنيد الملحق الأمريكى بلندن :

اذا استطاع جهاز ما للمخابرات تجنيد أحد العاملين بسفارة دولة من الدول فانه يعتبر فى الغالب جهازا ناجحا ، وهذا الوصف ينطبق على المخابرات الألمانية حيث تمكنت من تجنيد الملحق الدبلوماسى بسفارة الولايات المتحدة ببريطانيا (**تيلر كنت**) فبعد أن تبين لها كراهيته للحروب ومعاداته للسامية واعتقاده أن النفوذ اليهودى هو المسئول عن المنازعات الدولية المتعددة (**وهى نفس مبادىء الحزب النازى**) وتأكدها من امكانية قبوله العمل لصالحها قامت بتجنيده وتشغيله •

وقد قامت المخابرات الألمانية بمراعاة الدقة البالغة فى تجنيد العميل الأمريكى ولم تتعجل فى تحقيق هدفها مما قد يأتى بنتيجة عكسية ، فقدمت له عميله شاركته فى آرائه ثم أيدته فيها كمرحلة أولى ، ثم عرضت عليه فى مرحلة لاحقة عدة آراء تتعلق بموقف ألمانيا من اليهود تشير الى أنه طالما ظلت قادرة كلما استمرت فى سياستها ضدهم • أما فى المرحلة الأخيرة فقد عرضت عليه العمل لصالح ألمانيا واقنعته بأن ذلك يعتبر فى نفس الوقت عملا ضد اليهود •

ثم حقق تشغيل العميل الجديد نتائج كبيرة تسببت بطريق غير مباشر فى هزيمة الحلفاء فى معركة دنكرك الشهيرة فى يونيو ١٩٤٠ ، واكمال النقص فى المعلومات عن بعض القطاعات العسكرية والسياسية الحيوية للولايات المتحدة وبريطانيا وبعض حلفائهما ـ وتتضح أبعاد هذه النتائج فى توضيح الأعمال التى قام بها الملحق الأمريكى وهى :

- **نسخ أكثر من ١٥٠٠ تقرير تتعلق بكل من بريطانيا والولايات المتحدة من بينها تقارير عن القوات البريطانية وتسليحها وتموينها وخططها المستقبلة •**

- **امداد ألمانيا بمعلومات عن مساعدات أمريكا للدول الحليفة لها وببعض الأسرار الخاصة بالشفرة الأمريكية •**

- **تسببه فى وقف الاتصالات الدبلوماسية بين جميع الهيئات الأمريكية لنحو ستة أسابيع فى أحرج الأوقات التى عاصرت الانسحاب من دنكرك وسقوط فرنسا وذلك بسبب اكتشاف الشفرة الأمريكية •**

- **استخدام الحقيبة الدبلوماسية الأمريكية فى نقل تقارير المخابرات الألمانية من لندن الى ايطاليا ثم من الأخيرة الى برلين بواسطة الوسائل الأخرى •**

وتجدر الاشـــارة الى أخطاء الأمن التى أدت الى اكتشـاف نشاط الملحق الأمريكى والقبض عليه وعلى من يتعاون معه ولا شك أن أبرز هذه الأخطاء قيامه بتحميض الأفلام السرية التى قام بتصويرها فى أحد المحلات العامة بعد أن أدركه وشركائه الاجهاد الشديد نتيجة لقيامهم بهذا العمل بأنفسهم وهو ما أدى الى التعجيل بالقبض عليهم نتيجة لارتكاب هذا الخطأ الكبير ولارتفاع الوعى لدى الشعب البريطانى ٠

خامسا ــ تجنيد زعيم المقاومة الشعبية الهولندية :

يرى الكولونيل أوريستى بينتو (**من أبرز ضباط المخابرات بالعالم**) أن هذه العملية تعتبر أهم قضية فى تاريخ الجاسوسية ٠ نظرا للنتائج الكبيرة التى ترتبت عليها واتفق معه فى أهمية التأثير الذى مارسته على أحداث الحرب العالمية الثانية ــ وان كنت اختلف فى نظرته اليها كأهم القضايا على الاطلاق ٠ حيث يطالعنا التاريخ بأعمال أكثر أهمية وأبعد تأثيرا كأعمال شبكة الدكتور سورج فى اليابان ٠ والفرد ردل ــ القائد النمسوى الذى تسبب فى هزيمة بلاده فى الحرب العالمية الأولى وقتل نحو نصف مليون من مواطنيه ــ وجواسيس الذرة (**فوخس ، نون ماى ، بونتكورفو**) ٠ فضلا عن عدة أعمال أخرى تشارك العمل المشار اليه فى أهميته وتقف معه على قدم المساواة كأعمال ميشيل هولارد وكارل ميستر وولهلم ستيبر ٠

ويبدأ الحديث عن هذه القضية من شخصية زعيم المقاومة الشعبية الهولندية (**كريستيان مانز الشهير بكينج كونج ــ وكان قد أصاب الألمان من قبل بخسائر كبيرة وعرف بشجاعته وقوته الجسمانية غير العادية**) ٠ وقد استغلت المخابرات الألمانية نقاط الضعف العديدة فيه لتجنيده لصالحها والسيطرة عليه ، فقد كان يعانى من ضائقة مالية شديدة ، فأمنت له موردا ماليــا مستمرا ، وكان يميل بشدة نحو الاختلاط بالجنس الآخر فقامت بتوفير حاجته منه ، وشعر بأسى شديد لاعتقال قوات الأمن الألمانية لأخيه واحدى محظياته ، فعملت على الافراج عنهما لارضائه وزيادة ارتباطه بها ٠ وكان الثمن الذى دفعه فى مقــابل هذه الخدمات بطبيعة الحال باهظ التكاليف ، كلفه فى النهاية حياته اذ مات منتحرا بعد أن قدم لألمانيا خدمات كبيرة (**تعتبر فى نفس الوقت خسائر فادحة لبلاده وحلفائها**) وأهم الأعمال التى أداها لألمانيا :

◉ ابلاغ المخابرات الألمانية بمكان وميعاد هبوط قوة مظلات بريطانية (تبلغ تعدادها عشرة آلاف مظلي) والهدف الذى جاءت من أجله (الهبوط فى بلدة ارنهيم بهولندة فى ١٩٤٤/٩/١٧ للمحافظة على سلامة الكبارى والجسور فى المقاطعة المحيطة بها ومحاولة الاتصال بقوات مونتجمرى تمهيدا للهجوم بعد ذلك على الأراضى الألمانية نفسها) مما تسبب فى :

١ ـ تأخير انتهاء الحرب لمدة ستة أشهر مما يعنيه ذلك من استمرار قتل مئات الآلاف من الأرواح من الجانبين وتبديد مئات الملايين من الجنيهات فى التسليح والمعدات وتدمير مزيد من المدن والقرى والمصانع ٠

٢ ـ قتل نحو ٧٥٠٠ مظلي بريطانى من الذين هبطوا فى ارنهيم ، واغراق آلاف من الهولنديين نتيجة لمسارعة القوات الألمانية بنسف الجسور والخزانات والسدود ٠

٣ ـ الحيلولة دون حصول القوات المتحالفة على وضع مميز فى ألمانيا بعد هزيمتها وكان فى امكانها الحصول عليه لو بكرت بغزو أراضيها قبل قيام القوات السوفييتية بذلك ٠

◉ أما الأعمال الأخرى التى قام بها كريستيان مانز واستفادت منها أجهزة المخابرات الألمانية فهى الايقاع بعدد كبير من زملائه فى المقاومة السرية الهولندية (كان يعرف كل شيء عنهم) ٠ فضلا عن بعض الأعمال الفردية الأخرى ٠

سادسا ـ الأعمال الأخرى :

وهناك كثير من الأعمال الأخرى للمخابرات الألمانية الا أننا سنكتفى فضلا عما تناولنا بدراسة موضوعين لهما أهمية خاصة من الناحية التاريخية والدراسية. أولهما الأعمال التى تتعلق باستغلال الجنس كوسيلة للحصول على المعلومات ، والثانى يتصل بأعمال الشبكة الألمانية فى مصر (**سنخصص لها فصلا مستقلا ليتسنى تناولها بدقة وتوسع**) ثم يبقى بعد ذلك فصل أخير وهام لأنه يتعلق بالجانب الآخر من الصورة وهو الفشل الذى واجهته المخابرات الألمانية وأسبابه ٠

الانجازات التى نتجت عن استخدام الجنس :

استغلت المخابرات الألمانية كما أوضحنا آنفا الجنس كوسيلة هامة لتحقيق أهداف حيوية لم يكن يقدر لها أن تنجح ، الا باستخدام هذه الوسيلة الفعالة ومن الجدير بالذكر أنه يكثر استخدام الجنس فى الوقت الحالى من جانب كثير من أجهزة المخابرات كما استغلته أيضا جميع ادارات المخابرات فى جميع الفترات الهامة من تاريخ الجاسوسية ومن أجل استكمال ايضاح النجاح الذى حققته المخابرات الألمانية ونظرا لأهمية النتائج التى أحرزتها جاسوسات هتلر فاننا سنشير فيما يلى لأبرز انجازات الأجهزة الألمانية فى هذا المجال :

- **معرفة احدى العميلات لتوقيت وخط سير قافلة سفن بريطانية مكونة من قطع حربية وسفن شحن عن طريق الايقاع بأحد خدم منزل أميرال بريطانى، كان يعانى كبتا جنسيا وشعورا بالنقص ـ وقد قام سلاح الطيران الألمانى باغراق مدمرة وأربع سفن من هذه القافلة (انتحر الخادم بعد ادراكه أنه السبب فيما حدث) .**

- **الحصول على خريطة بالتحصينات الخاصة بمواقع ٢٦ مدفعا بريطانيا فى شمال دوفر من أحد كبار ضباط حركة فرنسا الحرة الذى كان يعانى أيضا من الكبت الجنسى (تم تدمير سبعة عشر موقعا بالكامل من هذه التحصينات) .**

- **الايقاع بالملحق العسكرى البريطانى فى سويسرا والحصول منه على الرسومات الكاملة لجهاز جديد لتوجيه القنابل (انتحر الملحق أيضا لهذا السبب) .**

الفصل الخامس

أعمال الشبكة الألمانية فى مصر

يصعب فى الواقع تعليل اهتمامى بالحديث عن أعمال الشبكة الألمانية فى مصر ، رغم عدم توفيقها بالكامل فى تحقيق أهدافها . والواقع أن أى حديث يتعلق بالوطن ولو من بعيد فى أى مرحلة من مراحل تاريخه الطويل لا يخلو من متعة ، فضلا عن أن أعمال هذه الشبكة لم تتناولها الا قلة من الأقلام يجعل الحديث عنها مفيدا فى بعض جوانبه . وهناك عامل آخر أكثر أهمية وهو الدروس التى يمكن استخلاصها من أعمال هذه الشبكة وهى كما سنرى جديرة بالاستيعاب لأى تنظيم أو فرد ينشد النجاح فى مهمته .

رئيس الشبكة :

كان رئيس هذه الشبكة أحد الألمان الذين ولدوا فى مصر ، ونشأوا فيها ، وتجنسوا بجنسيتها ، واستوعبوا تقاليدها وعاداتها ولغتها العربية ، ويسمى جون أبلر وكان اسمه المصرى المعروف به هو حسين جعفر . ولعل ما سبق يفسر أسباب اهتمام المخابرات الألمانية بتجنيده للعمل لصالحها ، اذ تتوافر فيه جميع الصفات الضرورية لعميل يتخذ من المجتمع المصرى ميدانا لنشاطه دون التعرض لخطر اكتشافه من جانب أجهزة مقاومة التجسس البريطانية أو السلطات المحلية .

لم تحل النشأة المصرية لجون أبلر وزواج أمه من محامى مصرى دون النظر بعين الاهتمام لكل ما يجرى فى ألمانيا والتحمس له واعتبار نفسه ألمانيا قبل كل شىء ، لذلك فقد تقبل التجنيد الذى عرض عليه فى بيروت عام ١٩٣٨ برضى ، وأصبح الجاسوس الأول لروميل فى الشرق الأوسط .

وقبل أن يصبح أبلر العميل الذى يعتمـد عليه روميل تمـاما فى تغطية احتياجاته أثناء زحفه المنتظر الى القاهرة ، قام بممارسة بعض الأعمال الأخرى لصالح المخابرات الألمانية ، فحينما فشل رشـيد عالى الكيلانى رئيس الوزراء العراقى فى تنفيذ الانقلاب الذى دبره ضد الاحتلال البريطانى فى بداية الحرب هرب الى تركيا ، ولم تسمح له الأخيرة بالسفر خارج أراضيها تحت ضغط من لندن • وكان لدى الأجهزة الألمانية فى ذلك الوقت رغبة فى الاستفادة من وجوده لديها فى الحرب الاذاعية التى تشنها ضد النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط •

وتحقيقا لهذه الرغبة قامت المخابرات الألمانية بتكليف أبلر بالذهاب الى اسطنبول للعمل على نقله الى ألمانيا ، رغم احاطته بالحراسة من جانب كل من الشرطة التركية والعملاء البريطانيين • ونظرا لتوافر تشابه ظاهرى بين الكيلانى وأبلر ، تمكن الأخير من دخول مسكنه وتهريبه • وقد استطاعت ألمانيا فى اليوم التالى مباشرة لوصـوله الى برلين استخدامه فى البرنامج الاذاعى الموجه ضـد بريطانيا •

وقد قام أبلر بتنظيم محاولة أخرى لانقاذ اللواء عزيز المصرى الذى كانت له اتجاهات وطنية معارضة لنظام الحكم القائم والاحتلال البريطانى الا أن الظروف غير المواتية أو ما يسمى بالحظ السىء حال دون ذلك •

احتياجات روميل من الشبكة :

حينما اشتدت حاجة الفيلد مارشال روميل للحصول على المعلومات الخاصة بنوايا بريطانيا المقبلة تجاه تحركاته اللاحقة لانتصاراته المتوالية عليها فى شمال أفريقيا ، اختار أبلر للقيام بهذه المهام وودعه بنفسه حتى مشـارف الصحراء الليبية فى طريقه الى مصر ، بعد تكليفه بتغطية الاحتياجات التالية :

- **المعلومات الخاصة بالخطط البريطانية وعدد القوات وتسليحها خاصة الدبابات والمدفعية •**
- **المواقع الدفاعية التى ستتخذها القوات البريطانية عند هجوم القوات الألمانية على الدلتا •**
- **ما اذا كان بالجيش المصرى ضباط على اسـتعداد لمعـاونة جيش روميل لدى دخوله الأراضى المصرية •**
- **أسماء القواد البريطانيين الجدد ـ الذين سيتولون قيادة القوات البريطانية •**

سعى أبلر بعد نجاحه فى دخول الأراضي المصرية عبر الصحراء الغربية الى البحث عن مصادر المعلومات والأماكن التى يمكن أن تساعده فى تحقيق أهدافه ، وأدرك أن صـالات الرقص ، والنوادى الخاصـة والعامة التى يرتادها الضباط البريطانيون هي خير وسيلة لذلك · ولكنه أدرك أن الأمر أكثر صعوبة بالنسبة للنوادى الخاصة بالضباط بعد تجربة غير موفقة له فى احداها (**سنشير اليها بعد قليل**) لذلك فقد ركز نشـاطه على النوادى الليلية ، وقام بتجنيد احـدى الراقصات المصريات التى تعمل فى واحد منها وتدعى حكمت فهمى ، وكانت تربطه علاقات سابقة معها خلال اقامته فى مصر قبل تجنيده ·

الدور الذى لعبته حكمت فهمي :

لا شك أن الدور الذى لعبته حكمت فهمي من خلال الشبكة الألمانية كان دورا أساسيا ، بل أن قيمة الأعمال التى حققتها قد فاقت ما قام به أبلر نفسه ويدل على ذلك :

- **اقامتها باستمرار لحفلات ساهرة فى مسكنها للضباط البريطانيين وامدادها لرئيس الشبكة بكافة المعلومات التى استمعت اليهـا من أحاديثهم خـلال اللحظات التى يفقدون فيها السيطرة على أنفسهم بتأثير الخمر وغيرها ·**

- **استدراج أحد كبار الضباط البريطانيين المتعلقين بها الى مسكنها ، بعد أن علمت أن فى حوزته أوراق خاصـة بالسياسة الدفاعية البريطانية والتى اتضح بعد اطلاع ابلر عليها أنها تحمل أعلى درجات السرية (سرى للغاية) وتحتوى على كافة المعلومات التى يحتاجها روميل (بيانات تفصيلية عن كل وحدة بريطانية فى الصحراء الغربية وعن الألغـام والذخيرة والمدفعية التى ستصل الى الجبهة ـ أسـماء تشكيل اللواء الاسـترالى والنيوزيلندى الذى سيعزز القوات البريطانية هناك ـ بيانات عن آخر موقع دفاعى سيقام عند العلمين ··) ·**

وهذه المعلومات كما ذكر أبلر نفسه كانت تمثل المفتاح الى القاهرة ، ويمكن بواسطتها أن يسيطر روميل على جميع دول شمال أفريقيا ·

تقييم أعمال الشبكة :

بقدر ما كان لحسن الحظ دوره الكبير فى خدمة بعض الأعمال الهامة للشبكات السوفييتية والبريطانية والأمريكية ، بقدر ما وقف سوء الحظ عائقا فى سبيل

نجاح أعمال الشبكة الألمانية فى مصر ــ اذ أنه رغم حصولها على هذه الأوراق الهامة شاءت الظروف غير المواتية أن تحول دون ارسالها الى روميل فى الوقت المناسب ليستفيد بها فى عملياته ضد القوات البريطانية • فعندما أخطر أبلر محطة الاستقبال اللاسلكى الألمانية بأن لديه رسالة مطولة هامة يرغب فى ارسالها، جاءه الرد بأنها مثقلة بالعمل ولن تتمكن من استقبال رسالته الا بعد أربع وعشرين ساعة • وكانت هذه الفترة كافية لأن تستكمل الأجهزة البريطانية المضادة تحرياتها عن الشبكة والقبض على أعضائها •

وفى اعتقادى أنه لو تم الاتصال اللاسلكى بالجهات الألمانية المسئولة وفقا للظروف العادية ، لكانت الصورة النهائية لمعركة العلمين تختلف عن الصورة التى حدثت بها ، وهو ما قد يكون له آثار أخرى على المعارك الحربية التى جرت بعد ذلك • فضلا عن أن هذا الاتصال كان من الممكن أن يحول دون استعمال المخابرات البريطانية للشفرة وجهاز اللاسلكى الخاص بالشبكة فى ارسال معلومات خاطئة الى القيادة الألمانية فى شمال أفريقيا ، توضح فيها أن خطوط الدفاع النهائية للقوات البريطانية ستكون فى علم حلفا ، بينما كان موقعها الحقيقى فى العلمين (**يلاحظ أن المخابرات البريطانية استخدمت فى هذا الشأن نفس الأسلوب الذى اتبعته المخابرات الألمانية فى عملية انجلند شبيل السابق الاشارة اليها**) •

وايضاحا للحقيقة فان سوء الحظ ليس المسئول وحده عن عدم التوفيق الذى قابلته الشبكة ، فقد كان لأخطاء الأمن التى ارتكبتها أثر فى التعجيل بالقبض على أفرادها ، وعدم اتاحة فسحة من الوقت أمامها لارسال المعلومات التى فى حوزتها • وسنتعرض فيما يلى لهذه الأخطاء على أن نأخذ فى اعتبارنا أن هناك أهمية أكبر من مجرد تناولها أى النظر اليها كدروس مستفادة يجدر مراعاتها دائما فى المواقف المماثلة •

- **مجازفة ابلر بدخول نادى خاص بالضباط البريطانيين مرتديا زى خاص بأحد الملازمين ، دون التمسك بالعرف الجارى وقتئذ بين الضباط البريطانيين والذى كان يقضى فى خطوطه العريضة بأن يدفع صاحب الرتبة الأعلى نفقات المشروبات وخلافها • وقد بادر العميل الألمانى بدفع أثمان كأسين من الشراب تناولهما مع رائد بريطانى مما أثار ريبة الأخير وجعله يتصل بالمخابرات البريطانية ويبلغها عن شكوكه فى حقيقته • وقد تم التحفظ لذلك على النقود التى دفع بها الشراب ، واتضح بعد فحصها أنها مزيفة وكان هذا**

الخطأ بداية النهاية للشبكة الألمانية اذ أعطى المخابرات البريطانية أول دليل استرشدت به للقبض بعد ذلك على الشبكة بعد سلسلة من التحريات الواسعة التى جندت لها كافة أجهزتها •

- الاسراف فى انفاق الأموال المزيفة التى كانت لدى الشبكة مما أثار الشك حول المصدر الذى تحصل منه عليها • وهذا الخطأ كبير من وجهة نظر الأمن ، اذ يجذب بسهولة كل من أجهزة المخابرات المضادة ، وأقسام مكافحة تزييف النقد الى الأشخاص الذين ينفقون مثل هذه الأموال ، وبالتالى فان أعمال أى شبكة تتعرض للانهيار حتى قبل أن تبدأ فى حالة استخدامها للنقود المزيفة فى تغطية مصروفاتها •

- تورط أبلر فى اقامة علاقات نسائية متعددة أدت فى النهاية الى وقوعه فى حبائل احدى النساء (يهودية الديانة) التى كانت لها صلات بالمخابرات البريطانية وبالوكالة اليهودية • ولم يكلف رئيس الشبكة نفسه عناء التحرى عنها ، أو حتى سؤالها عن الجانب الآخر من حياتها ، رغم طبيعتها الصامتة التى تثير الشك لدى رجل مثله ، يعمل فى ميدان يفرض عليه الحذر والريبة فى كل ما يدور حوله •

- عدم الحرص على اخفاء الأدوات التى تستخدم فى تسير عمل الشبكة ، فى أماكن يصعب العثور عليها (ترك كتاب الشفرة على أحد المكاتب مما أدى الى نقل الكود الوارد به بواسطة المرأة اليهودية) وهو ما يعتبر اخلالا جذريا بأبسط قواعد الأمن •

- هناك حدث آخر أعتقد أنه ليس خطأ أمن بالمعنى الذى يسأل عنه بالكامل ابلر أو أى شخص آخر فى محيط نفس المهنة ، وهو تفوه العميل الألمانى ببعض العبارات الألمانية أثناء نومه وفى حضور المرأة اليهودية رغم أنه من المفروض ألا يتحدث بها مطلقا • وفى الواقع فان الهدف من الاشارة الى هذه الملاحظة ليس حصرها ضمن أخطاء الأمن التى وقعت فيها الشبكة ، أو التعسف فى تطبيق مفهوم تعاليم الأمن ، وانما ايضاح أهمية مراعاة الساتر الذى يعمل فى ظله رجل المخابرات فى كل الظروف والأحوال وأن يحول بينه وبين أى ظروف تجعله يفقد السيطرة على تصرفاته (تجنب المواد المسكرة والمخدرة ـ عدم النوم مع أشخاص ليسوا موضع الثقة ـ عدم الاستجابة لاثارة متعمدة من جانب الغير •••) •

الفصل السادس

الفشل الذى واجهته المخابرات الألمانية وأسبابه

واجهت المخابرات الألمانية كغيرها من أجهزة المخابرات التابعة للحلفاء ـ فشلا فى بعض المعارك السرية التى خاضتها ضد الأجهزة المضادة ، خاصة فى المراحل المتوسطة والأخيرة من الحرب ـ ويلاحظ أن معدلات هذا الفشل قد توافقت عكسيا مع الانتصارات العسكرية التى حققتها ألمانيا ومدى تماسك جبهتها الداخلية ، وطرديا مع الهزائم التى لحقت بها والتفسخ الذى أصاب المجتمع الألمانى ·

وواضح أن الأسباب التى أدت الى انهيار الرايخ الثالث هى فى الواقع نفس الأسباب التى أدت الى فشل المخابرات الألمانية فى أواخر الحرب مع بعض الفروق النابعة من اختلاف طبيعة كل منهم · فطالما كانت امكانيات ألمانيا الحربية متفوقة وجبهتها الداخلية متماسكة ، كلما تجنبت أجهزة المخابرات الأسباب التى تؤدى فى العادة الى الفشل وحينما تزايدت الأعباء العسكرية الخارجية بما لا يتفق مع امكانياتها البشرية والمادية والحربية ، ومع القواعد الاستراتيجية المعروفة ، بدأت مظاهر الفشل تفرض نفسها على المخابرات الألمانية ، وتجبرها على التراجع والتزام جانب الدفاع الذى اتبعته أيضا القوات العسكرية الألمانية ·

ولن نتناول بالتفصيل أوجه الفشل التى لحقت بالمخابرات الألمانية ، حيث سبق التعرض لمعظم تفاصيلها عند تناول انجازات الشبكات السوفييتية والبريطانية والأمريكية ضد الأجهزة الألمانية وسوف نتحدث بايجاز فيما يلى عن بعض أوجه الفشل التى لم ترد من قبل التزاما بمبدأ عرض جميع الحقائق على القارىء :

◉ **القبض على أغلبية الجواسيس الألمان فى بريطانيا عقب نشوب الحرب مباشرة واعدام معظمهم ·**

- **عدم تقدير المسئولين الألمان للمعلومات الغزيرة والقيمة التى حصل عليها عميلهم سيسرو الذى كان خادما خاصا للسفير البريطانى فى أنقرة ٠**

- **الفشل فى الحصول على معلومات متكاملة عن الاتحاد السوفييتى فى جميع المجالات خاصة العسكرية ، وقد أدى ذلك فى النهاية بالاشتراك مع عوامل أخرى الى هزيمة القوات الألمانية فى الاتحاد السوفييتى ٠**

- **فشل الحملات الدعائية التى وجهت الى المواطنين السوفييت أثناء تقدم القوات الألمانية فى الأراضى الروسية ، والى بعض دول الحلفاء ٠**

أسباب الفشل :

لا شك أن الفشل الذى لحق بالمخابرات الألمانية يرجع الى مزيج متداخل من العوامل السياسية والعسكرية والفنية ارتبطت بعضها البعض وأسفرت فى النهاية عن هزيمة ألمانيا ذاتها وتقسيمها ويمكن ايجاز أهم أسباب هذا الفشل فيما يلى :

- **التنافس بين الادارات المختلفة للمخابرات والذى شمل الزعامات (كناريس هيد ريتش ـ مولر ـ هيملر ـ شليزنج ٠٠) والاختصاصات والذى أدى فى النهاية الى التأثير فى فاعليتها (ظهر ذلك بوضوح فى المراحل الأخيرة للحرب) ٠**

- **التوسع الكبير فى الفتوحات العسكرية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا دون اعتبار لمدى السيطرة على هذه المناطق أو لتشتيت القوات فيها أو تقدير صلابة شعوبها فى الدفاع عن نفسها مما أدى الى تزايد الأعباء التى يجب أن تقوم بها المخابرات الألمانية بشكل غير عادى ، وجعل مهمتها فى الأراضى الجديدة فى غاية الصعوبة ، حيث شملت اختصاصاتها الجديدة عشرات من الدول ، ومئات الآلاف من الأميال ومئات الملايين من الشعوب المتحفزة ضدها ٠ وقد نجحت فى بادىء الأمر فى تحمل تبعات هذه التركة الثقيلة من مخلفات النصر أو الهزيمة الا أنها ناءت بعد ذلك بحملها نظرا لاستفحال المشاكل التى واجهتها فى هذه البلاد والتى نبعت من :**

١ ـ تزايد فاعلية منظمات المقاومة الشعبية السرية ، والمواطنين العـاديين ومن بينهم فرسان القوازق السوفييت الذين كبدو القوات الألمانية خسائر كبيرة عن طريق حروب العصابات التى شنوها على مؤخرتها والتى قاموا خلالها بتدمير خطوط مواصلاتها ومراكز تموينها وذخيرتها واغتيال قادتها ٠

٢ ـ تصـاعد النشاط المناهض الذى قامت به أجهزة المخـابرات التابعة للحلفاء ، والذى شمل مجـالات كثيرة من بينها المسـاعدات المـادية والعسكرية لمنظمات المقاومة ، وتنظيم شـبكات للحصـول على كافة المعلومات عن القوات الألمانية المرابطة فى هذه الدول ٠

- اتسام حملاتها الدعائية التى وجهتها ضد شعوب الدول الحليفة ، بالتناقض والمبالغة سواء فى تصوير الانتصارات التى حققتها القوات الألمانية ، أو الهزائم التى منيت بها قوات الحلفاء ، فضلا عن عدم تقديرها فى بعض الأحيان لحقيقة مشاعر واتجاهات الشعوب التى وجهت اليها هذه الحملات ومن بينها الشعوب السوفييتية ٠

- تزايد نشاط الفئات الألمانية المعارضة للحكم النازى ، سواء بدافع من المصلحة الخاصة أو الخوف على مستقبل ألمانيا من تطرف المبادىء النازية وتوسعاتها العسكرية غير المسئولة ٠ وقد أتاح ذلك لمخابرات الحلفاء معينا لا ينضب من الأشـخاص ذوى النفوذ ، الذين يصعب اكتشـاف ميولهم نظرا لرعويتهم الألمانية ، وتمتعهم نتيجـة لذلك بحرية حركة وقدرة على اقامة اتصـالات واسعة ٠ ويعتبر الفشل الذى واجهته المخابرات الألمانية فى هذا المجال أكبر هزيمة واجهتها خلال الحرب العالمية الثانية وسببا من الأسباب غير المباشرة التى أدت الى هزيمة ألمانيا ٠

- انعكاس التفكك الذى أصاب الجبهة الألمانية الداخلية خاصة بعد الهزيمة أمام الاتحاد السوفييتى واتضـاح احتمال خسـارة الحرب بصفة نهائية ـ على أجهزة المخابرات الألمانية حيث انقسمت على نفسها الى فريقين أحدهما يؤيد هتلر ومعاونيه ، والآخر يقف الى جانب المحاولات التى تستهدف تنحيته والقضاء على الحكم النازى ، وعقد صلح مع الحلفاء ٠ وقد أدى هذا الانقسام الى اضعاف قدرة هذه الأجهزة على تحمل مسئولياتها وأعبائهـا المتزايدة ،

وانصرافها عن واجبها الأصلى الى متاهات فرعية أخرى • وقد وصل الأمر الى حد اشتراك رئيس المخابرات الحربية بنفسه فى مؤامرة لاغتيال هتلر عام ١٩٤٤ (الأميرال كناريس الذى تم اعدامه) •

◉ اضعاف هتلر للمخابرات الحربية بعد اكتشاف اشتراك رئيسها وبعض زعمائها فى المؤامرة المشار اليها وقيامه بتشتيت أقسامها المختلفة وسلب كثير من اختصاصاتها خوفا من أى احتمالات مماثلة فى المستقبل كما عين مشرفين جدد عليها لم تكن لديهم خبرة كافية بأعمال المخابرات •

◉ التقيد غير المرن فى بعض الأحيان بالروتين ، اذ قامت بتزويد بعض جواسيسها مقدما بكافة ما يحتاجونه من أدوات ، رغم امكانية الحصول عليها من الدولة التى سيمارسون نشاطهم فيها ، مما أدى الى اكتشافهم فى أولى مراحل التحريات عنهم بواسطة أجهزة المخابرات المضادة — فضلا عن الاستمرار فى استخدام بعض الوسائل التقليدية التى سبق اكتشافها • (لصق الميكرو فيلم أسفل طابع البريد — استعمال أحبار سرية سهلة الكشف عنها ••) •

القسم الخامس

المخابرات اليابانية

الفصل الأول

تأثير السياسة الخارجية اليابانية على الجاسوسية

تقديم :

قبل أن نخوض فى تفاصيل هذا الفصل والفصول الأخرى التالية نوضح أن هناك نقصا واضحا فى المؤلفات الأجنبية التى تتناول أعمال الجاسوسية اليابانية ، كما أن عدد ما ترجم منها الى العربية لا يكاد يذكر وبالتالى فان هذه المؤلفات (**المترجمة والتى لم تترجم بعد**) لا تغطى كافة الميادين التى يتطلبها البحث الموسع وغير المتحيز لنظام من أهم وأشمل نظم المخابرات ، والذى كان له تأثير ملموس على حقبات هامة من التاريخ الحديث ٠

ويفرض ذلك علينا التحفظ فى تناول الكتب القليلة التى تطرقت لهذا الموضوع نظرا لأن المتيسر لنا بالفعل منها - ذو اتجاهات غربية ، وعدم التوسع فى التعرض للانجازات التي حققتها المخابرات اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية. لذلك سنقتصر فيما يلى على تناول تأثير السياسة الخارجية اليابانية عليها وطبيعة الجاسوسية اليابانية - أما بالنسبة للانجازات فسنتناول فقط نجاح الهجوم على بيرل هاربور كمثال جيد على كفاءتها فضلا عن الاستشهاد ببعض الانجازات الأخرى التى حققتها فى أوائل القرن الحالى وخلال الثلاثينيات منه ٠

كانت اليابان منذ أوائل القرن العشرين وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية أقوى دولة فى منطقة الشرق الأقصى بصفة خاصة والقارة الآسيوية بصفة عامة ٠ وقد اختلف الدور الذى لعبته فى السياسة الدولية خلال هذه الفترة عن الدور الذى تقوم به فى الوقت الحاضر ٠ فمن دولة ذات تأثير سياسى واقتصادى وعسكرى فعال على معظم الدول التى تقع فى هذه المناطق - الى أخرى يقتصر تأثيرها على تصدير امكانياتها الفنية والاقتصادية المتقدمة ٠ وبالتالى فقد تلاشى دورها كترسانة للأسلحة ، وكمحرك لأهم الأحداث العالمية ، وكاحدى الدول التى تعتبر الجاسوسية من أهم دعائم سياستها الخارجية والداخلية ٠

وبقدر ما كان لسياسة العزلة التى اتبعتها الولايات المتحدة ، تأثير سلبى على تنظيم وتمويل المخابرات الأمريكية ، كان لسياسة اليابان الخارجية الايجابية ـ والاستعمارية فى نفس الوقت ـ تأثير مماثل ولكن فى الاتجاه العكسى على أجهزة الجاسوسية المختلفة ، حيث اتسمت بالتطور والفاعلية والشمول ، وكانت بالفعل احدى الوسائل الناجحة التى مهدت للانتصارات الواسعة فى الميادين العسكرية والاقتصادية والسياسية والتى حققتها اليابان طوال ثلاثة أرباع قرن من الزمان (**منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى أوائل الحرب العالمية الثانية تقريبا**) .

واذا تقصينا الأسباب الحقيقية التى دفعت اليابان الى انتهاج سياسة خارجية توسعية ، وبالتالى استخدام عملائها بكثرة فى توفير الظروف المناسبة لنجاحها ، لأدركنا أن هناك عدة عوامل ايديولوجية ، واقتصادية وعسكرية تلاحمت فيما بينها وكونت فى النهاية المبررات التى استندت اليها لانتهاج هذه السياسة ويمكن فيما يلى ايجاز أهم هذه العوامل :

- **تعاليم الديانتين الشنتوية والبوذية التى توضح أن الشعب اليابانى من سلالة الاله ، ولا ترتقى الى مستواه الفكرى أو الحضارى جميع الشعوب الأخرى ، وتحض هذه التعاليم لذلك المسئولين اليابانيين على انتهاج سياسة التوسع فى الأراضى المجاورة وتعطيهم الحق فى السيطرة على غيرهم من الشعوب ، ويلاحظ أن هذه السياسة قد تم تبريرها بالرغبة فى تحرير الشعوب الآسيوية من سيطرة الأوروبيين ونشر التقدم والحضارة بينهم وهى نفس الأفكار والمبادىء النازية والاستعمارية الأخرى .**

- **تضخم عدد السكان بالنسبة لمساحة الجزر اليابانية وامكانياتها الاقتصادية . (الزراعية والصناعية) ، مما أكد الاتجاه الى التوسع فى الأراضى المجاورة لاستيعاب الاعداد الفائضة منهم خاصة بعد غلق الدول الانجلو سكسونية (أمريكا ـ بريطانيا ـ استراليا ـ نيوزيلندة) لأبواب الهجرة أمامهم .**

- **التقدم الاقتصادى الكبير واتجاه المسئولين اليابانيين الى تصريف فائض بضائعهم فى أسواق لا تجد فيها منافسة من جانب الدول الأخرى خاصة الأوروبية والأمريكية .**

- **رغبة العسكريين اليابانيين ـ بعد سيطرتهم على الحكم فى زيادة تأمين حدود بلادهم بالتوسع فى الأراضى المتاخمة وذلك من أجل ابعاد ميدان أى حرب مستقبلة عن الأراضى اليابانية نفسها ، وتطبيق مبدأ المجال الحيوى الذى**

تمسكت به اليابان مثلها فى ذلك مثل ألمانيا وايطاليا لجعل الامبراطورية اليابانية أمرا واقعا •

ومن الضرورى أن نشير ونحن بصدد توضيح تأثير السياسة الخارجية اليابانية على نشاط وكفاءة وانتشار شبكات التجسس ـ الى أن أجهزة المخابرات اليابانية كان لها أيضا تأثير على هذه السياسة من حيث زيادة فاعليتها فى مواجهة سياسات الدول المنافسة لها ـ أى أنه كان هناك تأثير متبادل بين المخابرات والأجهزة السياسية اليابانية فى أوجه كثيرة • ولكى نوضح بعض جوانب ذلك نشير الى أن العملاء اليابانيين كانوا دائما ـ وبكثرة ملحوظة ـ فى مقدمة الجيوش اليابانية التى هاجمت أى دولة أو اقليم ـ عملا بالأمثلة القائلة (**بأن الجواسيس يسبقون الجيوش المهاجمة والأساطيل الجوية**) و (**ان تدبيرات التجسس اذا أحسن اعدادها وكانت على نطاق واسع تستطيع أن تحرز نصف الانتصار حتى قبل أول ضربة يلقى بها فى المعركة**) • وقد استطاع هؤلاء العملاء بالفعل التمهيد بنجاح تام للانتصارات الحربية التى أحرزتها القوات اليابانية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل العقد الرابع من القرن العشرين • وينطبق ذلك بشكل كامل على :

- **انتصار اليابانيين على روسيا القيصرية عام ١٩٠٥ بعد غزوها فى بادىء الأمر بجيش من الجواسيس جمعوا كافة المعلومات اللازمة عن القطاعات العسكرية الروسية • وكان لتضافر جهود الجاسوسية والقوات المسلحة اليابانية أثر فى تأمين الحدود الغربية لليابان ، ونفوذها فى منشوريا والاستيلاء على جزر كورال وجنوب شبه جزيرة سخالين الروسية فضلا عن القضاء على نفوذ أكبر دولة منافسة لها فى القارة الآسيوية •**

- **احتلال منشوريا عام ١٩٣١ واقامة دولة منشوكو فيها فضلا عن احتلال نصف الأراضى الصينية بما فيها كثير من المدن الكبرى •**

- **احتلال أندونيسيا والهند الصينية ـ تايلاند ـ الفلبين ـ سنغافورة والملايو ـ خلال الحرب العالمية الثانية باستغلال العوامل المختلفة التى ساعدت على ذلك (تمكن العملاء اليابانيون من أسرارها ـ انشغال الدول الأوروبية المحتلة لها فى الحرب الدائرة فى القارة الأوروبية ـ موقعها الجغرافى القريب من مناطق نفوذها ••) •**

- **تحطيم معظم قطع الاسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربور وتخريب غالبية منشئات الميناء (سنتعرض لهذا العمل بالتفصيل عند تناول انجازات المخابرات اليابانية) •**

الفصل الثانى

طبيعة الجاسوسية اليابانية

لا يكتمل الحديث عن المخابرات اليابانية دون الاشارة الى الجذور التاريخية للجاسوسية لدى الشعب والحكومات اليابانية المتعاقبة خاصة فى الحقبة الزمنية الأخيرة • وليس هنـاك توضيح أفضل لتلك الجـذور التاريخية وتغلغل العمل السرى فى نفوس اليابانيين وأهميته لدى حكوماتهم من ذكر آراء رودلف هيس (**أحد علماء الجيوبوليتكس البارزين فى ألمانيا**) حول هذا الموضوع ، وهى أفضل وأشمل ما قيل فى هذا الشأن •

يرى هيس أن الجاسوسية بالنسبة لليابانيين طبيعة ثابتة ، وقد وصلت خلال أجيال طويلة الى حد تجسس الجار على جاره والى أن تصير جزءا من حياتهم العادية فى داخل بلادهم أو خارجها • وقد بدأت أولى مراحل تنظيم الجاسوسية خارج اليابان فى النصف الثانى من القرن ١٩ حيث أرسلت منذ ذلك الحين عددا غير محـدود من البعثات الدبلوماسـية والتجـارية والبحرية والفنية والعملية والطلابية •• من أجل الحصـول على أكبر قدر ممكن من المعـلومات عن الدول الغربية •

وكما كان القياصرة الروس يكثرون من انشاء الأجهزة البوليسية السرية والعلنية للحفاظ على نظم حكمهم ونفوذهم لدى فئات الشعب المختلفة ـ كانت الحكومات اليابانية المتعاقبة ، خاصة منذ عهد حـكم الشوجان فى أوائل القرن التاسع عشر تقيم أجهزة متعددة للشرطة السياسية ، تتولى بصفة أساسية تأمين حياة وسلطات الزعماء السياسيين والعسكريين ، الأمر الذى انعكس فيما بعد على مدى كفاءة أجهزة المخـابرات اليابانية التى أحسنت استخدام التراث الذى آل اليها من النظم السابقة •

ويهمنا فى مجال ايضاح طبيعة الجاسوسية اليابانية القاء الضوء على جانب هام منها وهو مدى تقدير المسئولين والشعب اليابانى لأهمية وسمو العمل فى ميدان المخابرات • فمن المعروف أن الغالبية العظمى من أفراد الشعوب المختلفة فى جميع العصور السابقة ـ فضلا عن كثير من حكامهم ـ كانوا يعتبرون العمل فى هذا الميدان لا يرتقى الى مستوى الأعمال العادية أو الشريفة ، ولا يزال جانب كبير من الرأى العام العالمى والمحلى يميل الى تأييد هذا الرأى • فاذا اتجهنا الى البحث عن وجهة نظر الفئات المختلفة للشعب اليابانى وحكوماته المتتالية خاصة فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، لتبين لنا أنها تؤمن بعكس الرأى السابق تماما ، أى ترى أن العمل فى ميدان المخابرات يعتبر خدمة نبيلة وسامية ترقى الى مرتبة أهم الأعمال فى الدولة وأن (**جاسوسا واحدا فى الموضع المناسب هو بمثابة عشرين ألف جندى فى الميدان**) • ولكى يتبين لنا أبعاد تقدير اليابانيين لأهمية الجاسوسية ، نوضح ثلاث حقائق رئيسية فى هذا الشــأن :

- **عدم توقع المواطنين اليابانيين لأى أجر مقابل القيام بأعمال التجسس •**

- **محاولة اطلاق سراح العملاء الذين يقبض عليهم فى الخارج بأى وســيلة ، وعدم التخلى عنهم ، بعكس بعض أنظمة المخابرات الأخرى التى قد ترى أن أى محاولة من جانبها فى هذا الشأن تعتبر اعترافا منها بقيامها بالتجسس ضد الدولة التى قامت بالقبض عليهم •**

- **تضخم حجم الميزانيات المخصصة لأعمال المخابرات اليابانية بالمقارنة بميزانيات الأجهزة الأخرى خاصة الانجليزية والأمريكية والفرنسية •**

أهداف المخابرات اليابانية :

تعددت الأهــداف التى سعت المخــابرات اليابانية الى تحقيقها • ويلاحظ بصفة عامة أن أهداف المخابرات قد سارت فى خط متوازى مع الأهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية الأخرى للحكومات اليابانية ، وكثيرا ما كانت تتخذ شكل الخطط التنفيذية لهذه الأهداف • لذلك فقد تشعبت الميادين التى تعلقت بها (**سياسية ـ اقتصادية ـ عسكرية**) كما تباينت الدول التى كانت ميدانا لنشاطها ويمكن بصفة عامة ايجاز أهم أهداف المخابرات اليابانية فى بند واحد شامل (**نسبيا**) وهو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات فى جميع القطاعات عن الدول الكبرى التى يمكن أن تنشب حرب بينها وبين اليابان (**الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفييتى** ••) أو تلك التى تنوى احتلالها أو ترى فيها مجالا حيويا لها

(الصين ـ الملايو ـ سنغافورة ـ أندونيسيا ـ الهند الصينية ـ تايلاند ـ الفلبين ـ بورما ٠٠) ٠

الوسائل :

أما فيما يتعلق بالوسائل التى استخدمتها الأجهزة اليابانية فى تحقيق أهدافها فقد تعددت أيضا ٠ وقبل أن نتناول أهمها نشير بصفة عامة الى أنها قد اتبعت فى بعض الأحيان المثل الشائع **(الغاية تبرر الوسيلة)** حيث استخدمت بعض الوسائل غير العادية ، وفى نظر عامة الشعب **(الوسائل غير الشريفة)** فى الحصول على المعلومات ، أو اكتساب ولاء أهالى البلاد التى تمارس نشاطها فيها ٠ وتلاحظ أن الغالبية العظمى من أجهزة مخابرات الدول المختلفة يستخدم الوسائل التى سنشير اليها أو على الأقل تلجأ الى استخدامها فى الظروف التى تضطر فيها الى ذلك ، الا أن درجة استخدامها تختلف من جهاز لآخر ، وفيما يلى أهم الوسائل التى استخدمتها المخابرات اليابانية ٠

- **نشر شبكات متشعبة فى الدول التى تهتم بهـا واقامة أجهزة قوية لمكافحة الجاسوسية ٠**

- **تجنيد اليابانيين الذين يتميزون بالتعصب لقومية بلادهم ، أو يظهروا مهارة وكفاءة واضحتين فى أحد الميادين التى تتصل بالمخابرات من قريب أو بعيد ، أو أولئك الذين من أصل يابانى ويقيمون بالدول الأخرى ٠**

- **التوسع فى ارسال البعثات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والعمالية والسياحية الى الخارج لجمع كافة المعلومات الضرورية عن البلاد التى توفد اليها ٠**

- **استخدام الجمعيات اليابانية الوطنية التى تقام فى اليابان والدول الأخرى خاصة الآسيوية (جمعية المحيط الأسود ـ شرق آسيا للثقافة الموحدة ـ التنين الأسود ـ الذئب الأبيض ٠٠) فى تحقيق الأهداف المختلفة للمخابرات ويلاحظ أنه كان لهذه الجمعيات دور ملحوظ فى التمهيد لانتصار اليابان على روسيا عام ١٩٠٥ ، وفى الاستيلاء على منشوريا وأجزاء كبيرة من الأراضى الصينية ٠**

- **استخدام أطقم قوارب الصيد اليابانية (نحـو ٥٠٠ قارب على الشـواطىء الغربية للولايات المتحدة ودول أمريكا الوسطى) فى جمع المعلومات أو نقلها من مواقع تجميعها الى اليابان ٠**

- **التعاون مع منظمات الجاسوسية الألمانية (فى بعض الاحيان) للتغلب على مشكلة اللون والشكل المميز للمواطنين اليابانيين ، ولتعزيز الجاسوسية اليابانيــة فى الدول الغربيــة وبعض منــاطق الشرق الأقصى (هاواى ـ بيرل هاربور ٠٠) ٠**

- **اقامة بيوت سرية ونوادى للقمار وأماكن لتناول المواد المخدرة . فى الدول التى يمارسوا فيها نشاطهم واستغلالها فى :**

  ١ ـ السيطرة على روادها الذين ترغب فى فرض التجنيد عليهم ٠

  ٢ ـ تجنيد من يعمل فيها من النساء أو الرجال لجمع المعلومات المختلفة من الزائرين ٠

  ٣ ـ الترفيه عن عملائها ٠

- **الالتجاء فى بعض الأحيان الى استخدام الرشوة والاغتيال والتخريب وأعمال العنف ٠**

أما فيما يتعلق باستخدام اليابان للحرب النفسية كأحد وسائل المواجهة ضد أعدائها (**أسوة بدول المحور والحلفاء**) فانه من الضرورى ايضاح حقيقة ثابتة فى هذا الشأن ، وهى عدم اهتمام المسئولين اليابانيين بتنظيم حملات نفسية واسعة النطاق ضد سياسة الولايات المتحــدة أو قواتها العســكرية أو جبهتها الداخلية ، فضلا عن عدم اهتمامها كذلك باعداد برامج اذاعية أو صحفية بشكل كبير لتأييد وجهــة نظرها أو لرفع الروح المعنوية لجنودها ٠ واذا تحرينـا عن الدوافع الحقيقية التى تفسر هذا الموقف لوجدنا أن هناك عاملين رئيسيين يمكن أن يلقيا ضوءا كافيا عليه :

- **ثقة المسئولين اليابانيين الكاملة بأنفسهم وبامكانياتهم العسكرية واعتقادهم النابع من ديانتهم البوذية والشنتوية بأن النصر لا بد وأن يكون فى صالحهم ٠**

- **الروح المعنوية العالية التى يتمتع بها الجنود اليابانيين وكفاءتهم العالية فى القتال مما ينفى الحاجة الى توجيه حملات نفسية لرفع هذه الروح ٠**

ولا يعنى ما تقدم أن اليابان لم تقم على الاطلاق بتنظيم حملات نفسية ضد أعدائها بل قامت بالفعل بذلك ، الا أن مدى انتشار هذه الحملات وتأثيرها وقيمتها كان أقل بكثير من مثيلاتها فى دول الحلفــاء أو المحور كما أنهــا لم تتوسع فى استخدام هذه الوسيلة الا بعد أن بدأت الحرب تتحول فى غير صالحها ٠

الفصل الثالث

الانجازات التى حققتها المخابرات اليابانية

سنقتصر فى مجال تعرضنا لانجازات المخابرات اليابانية على تناول نجاح الهجوم اليابانى على الاسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربور نظرا للاعتبارات السابق الاشارة اليهـا فى مقـدمة الفصل الأول ، وقبل أن نتعرض للجوانب المختلفة لهذا العمل الناجح من الضرورى الاشارة الى الظروف التاريخية والمعاصرة التى أدت الى هجوم اليـابان على الميـنـاء وتشوب الحرب بين الولايات المتحـدة واليابان ، نظرا لأنها تعتبر مدخلا طبيعيا للتعرض للتفاصيل الفنية لهذا العمل ولمساهمتها فى ايضاح أهم فترة فى تاريخ العلاقات بين البلدين .

فلا شك أن هجوم القوات اليابانية على بيرل هاربور فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ جاء نتيجة لتداعى عدة حوادث واحتكاكات بين البلدين ، يرجع تاريخ بعضها الى منتصف القرن التاسع عشر ، بينما يتصل جزء كبير منها بفترة ما بين الحربين العالميتين ، فاذا تتبعنا عن كثب تطور العلاقات بينهما منذ منتصف القرن الماضى حتى نشوب الحرب بينهما ، وأحصينا الأحداث البارزة التى أثرت بطريقة سلبية أو ايجابية على طبيعة هذه العلاقات ومداها ، **(مع عدم اغفال التراث الحضارى والنفسى والأطماع السياسية والعسكرية لكلا البلدين)** لتبين لنا حتمية نشوب صراع مسلح بينهما يعقب الحرب الباردة التى قامت بينها طوال قرن من الزمان ، ولم يكن ليحول دون نشوب هذه الحرب فترات التهدئة المؤقتة التى سادت العلاقات بين البلدين فى بعض المراحل والتى رأى فيها بعض الكتاب عوامل يمكن أن تؤدى الى تحسين العلاقات بينهما ، ولتأييد هذا الرأى سنشير الى الشواهد التى تدل بوضوح على حتمية نشوب حرب بينهما :

- **عدم تقبل اليابانيين ــ الذين عرفوا بالاعتزاز بقوميتهم والاعتداد بأنفسهم ــ المحاولة الناجحة التى قامت بها الولايات المتحدة عام ١٨٥٣ لاجبار اليابان**

على فتح موانيها للسفن الأجنبية (كانت الحكومات اليابانية تحرم على السفن الأجنبية ارتياد موانيها للتزود بالوقود أو للتجارة) واعتبار ذلك هزيمة يجب الثأر لها •

- احتلال الولايات المتحدة للفلبين عام ١٨٩٨ بعد انتصارها على اسبانيـا ، وهو ما اعتبرته اليابان اختراقا للمجال الحيوى لها فى جنوب شرقى آسيا •

- تدخل أمريكا الى جانب روسيا القيصرية بعد انتصـار اليابان عليها عـام ١٩٠٥ ، لمنع الأخيرة من فرض شروط مشددة على موسكو •

- محاولة تهديد النفوذ اليابانى فى منشوريا ، باقتراح تدويل شركة سكك حديد منشوريا فى أوائل القرن الحالى •

- اجبار الولايات المتحدة لليابان بالاشـتراك مع الدول الغربيـة الأخرى على توقيع معاهدة واشنطن البحرية عام ١٩٢٢ التى أعطت لأمريكا وبريطانيا تفوقا نسبيا على اليابان فى مجال الأساطيل البحرية (٥ : ٣) ووضعت حدا أقصى لأى توسع فى البحرية اليابانية (تنصلت اليابان من بنود هذه الاتفاقية عام ١٩٣٤) •

- سفور الأطماع التوسعية اليابانية فى الصين وقيامها عام ١٩٣١ باحتـلال منشوريا وسعيها لجعل منطقة جنوب شرقى آسيا مجالا حيويا قاصرا على نفوذها ، وتصدى الولايات المتحـدة لها وقيامهـا بمساعدة قوات شيانج كاى تشك •

- انضمام اليابان الى دول المحور بتوقيعها الاتفاقية المضـادة للكومنترن مع ألمانيا عام ١٩٣٦ واتفاقية تقسـيم مناطق النفوذ عـام ١٩٤٠ مع ايطاليا وألمانيـا •

- الغاء الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ لمعاهدة التبادل التجارى بينهما وتجميد الممتلكات اليابانية فى أراضيها •

الهجوم على بيرل هاربور :

يعتبر هذا الحادث فى جانب كبير منه تتويجا لعمل من أهم أعمال الجاسوسية خلال الحرب العالمية الثانية ، ومثلا يحتذى به لمدى تعاون أجهزة الدولة مع جهاز

المخابرات التابع لها فى تحقيق هدف معين • وقد تم تدبير وتنفيذ هذا الهجوم بدقة بالغة بعد حصول شبكات الجاسوسية اليابانية على معلومات تفصيلية ودقيقة عن الميناء واستحكاماته والسفن الدائمة الرسو فيه •• الخ ، الامر الذى مكن فى النهاية القوات البحرية والجوية المهاجمة من تحقيق أهدافها بشكل كامل، وبالتالى كسب أول معركة عسكرية تخوضها اليابان ضد الولايات المتحدة •

ونظرا لأهمية هذا العمل من الناحية الفنية وما ترتب عليه من أحداث هامة متتالية ، سنتعرض فيما يلى للاجراءات المختلفة التى اتخذها المسئولون اليابانيون فى سبيل تحقيق هدفهم ، كما سنتعرض للعوامل الأخرى التى أدت الى نجاحهم •

بيرل هاربور كهدف صالح :

اذا القينا نظرة سريعة على المرحلة الأخيرة التى مرت بالعلاقات بين اليابان والولايات المتحدة لأدركنا أنه قد تبين للحكومة اليابانية بوضوح استحالة تهدئة علاقاتها مع أمريكا وأن الأخيرة قد أصبحت تقف بالفعل ــ حائلا دون نجاح أى سياسة توسعية يابانية فى منطقة جنوب شرقى آسيا ، الأمر الذى دفعها الى التفكير جديا فى خوض حرب مسلحة ضدها اعتقدت حينئذ (تبعا لامكانياتها العسكرية المتطورة وانتصاراتها المبدئية فى الصين ومميزات شعبها وجنودها) أنها ستنتهى لصالحها وبالتالى ستقضى بواسطتها على أكبر عدو يهدد أمنها ومصالحها •

حرصت اليابان على العناية باختيار أول جبهة تختبر فيها قواتها ضد الولايات المتحدة وقد تعمدت تحديد ميناء بيرل هاربور فى الباسفيك لهجومها الأول نظرا لأنه يحقق فى اعتبارها عدة مزايا فى وقت واحد :

- **قربه من الأراضى اليابانية مما يمكن فى المرحلة الأولى من جمع المعلومات الضرورية عن كافة الجوانب الهامة للميناء ، ومن توفر أسباب نجاح الهجوم الجوى والبحرى التى تزمع القيام به فى مرحلة لاحقة •**

- **كونه أحد مظاهر التدخل الأمريكى فى المنطقة التى تعتبرها اليابان مجالا حيويا لها مما يحبذ أن تكون البداية بالهجوم على هذا الميناء •**

- **وجود عدد كبير من السفن الحربية الأمريكية فى الميناء فضلا عن المنشئات العسكرية وأحواض اصلاح السفن وورش صيانتها والمطارات والطائرات •• الخ مما يؤدى فى حالة نجاح الهجوم الى اصابة الولايات المتحدة بخسائر جسيمة فى الأرواح والعتاد •**

تكوين الشبكة اليابانية :

اعتمدت المخابرات فى الحصول على المعلومات المختلفة عن الميناء الامريكى على مصادر متنوعة الا أن أهم هذه المصادر هى الشبكة التى اتخذ أعضاؤها مقرا لهم جزيرة هواى والمنطقة المحيطة بميناء بيرل هاربور • فاذا نظرنا الى جنسية أعضاء هذه الشبكة لاتضح لنا ظاهرة واضحة فى الجاسوسية اليابانية وهى أن أعضائها من المواطنين التابعين لألمانيا ، وتفسير ذلك واضح على ضوء ما سبق أن تبين لنا من تعاون المخابرات اليابانية مع الألمانية للتغلب على مشكلة الشكل واللون المميز للعملاء اليابانيين •

رغم عدم تعدد أعضـاء الشبكة وتنوع مهاراتهم (**اقتصرت فقط على أربعة أشخاص من أسرة واحدة ــ أب وأم وبنت وصبى صغير**) **الا أنهم** نجحوا بشكل كامل فى تحقيق المهام التى كلفوا بها ــ فتغلبوا أولا على مشكلة الساتر الذى يتخذوه لتبرير قدومهم الى هواى عام ١٩٣٥ وانتقالهم بعد ذلك الى بيرل هاربور فى ١٩٣٩ (**رغبة رب العائلة فى تعلم اللغة اليابانية والتاريخ القديم لهواى وبعض المناطق المجاورة لها**) • ونجحوا فى مرحلة تالية فى استغلال امكانياتهم الى أقصى حد ممكن ــ بتوجيه من المشرفين على المخابرات اليابانية (**قدرة الأب والأم على تجميع المعلومات المختلفة وتنظيم ارسالها بدقة ــ استغلال الابنة لأنوثتها وعلاقاتهـا الاجتماعية المتفتحة فى تحقيق أهداف الشبكة ــ استخدام براءة مظهر الصبى وذكائه فى توجيهه لزيارة السفن الحربية الأمريكية الراسية والقاء أسئلة معينة على أطقمها ••**) •

وقد تغلبت المخابرات اليابانية أيضا على مشكلة هامة أخرى وهى كيفية نقل المعلومات التى تحصل عليها هذه الأسرة ، وبعـد أن أدركت أنه ليس من الضرورى اقامة اتصال مباشر بينها وبين أعضاء الشبكة لعدم اثارة أى شكوك حول نشاطهم ــ نجحت فى استخدام نظام بسيط لنقل هذه الرسائل وهو نظام الاشارات الضوئية بين المنزل الذى تقيم فيه الأسرة ومبنى القنصلية اليابانية القريب منه •

ويمكن بعد ذلك تصور مدى النجاح الذى أحرزته هذه الشبكة وغيرها من التعرض بايجاز للمعلومات التى حصلت عليها عن الميناء وهى كما يلى :

- **أسماء وحمولة وتسليح السـفن الدائمة الرسو فى الميـنـاء وتلك التى تقوم بزيارته بصفة دورية •**

- **مواقع الرادارات والمدافع الساحلية والمضادة للطائرات ٠**

- **مخازن الذخيرة ومستودعات الوقود ٠**

- **أحواض اصلاح السفن وورش صيانتها ٠**

- **بعض المعسكرات والمطارات القريبة من الميناء ٠**

الأسباب الاخرى لنجاح الهجوم على بيرل هاربور :

هناك عدة عوامل أخرى ساعدت على نجاح هذا الهجوم وان كانت تتعلق بالجانب الآخر أى بالولايات المتحـــدة (**تعتبر فى نفس الوقت مظـاهر فشل للمخابرات الأمريكية**) ٠ واذا كانت هناك ضرورة لتناول هذه العوامل فهى من أجل ايضاح جميع الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع فضلا عن أنها تمثل دروسا مستفادة يجب الأخذ بها لعدم تكرار حدوث المآسى رغم وضوح وسائل تلافيها ، وهى تتلخص فيما يلى :

- **اغفال المسئولين الأمريكيين لما جاء ببعض تقارير أجهزة المخابرات وضباط البحرية (من بينهم الرير أدميرال زخارياس السابق الاشارة الى أعماله) عن توافر نوايا لدى اليابان للهجوم على الميناء ٠ وكانت هذه التقارير قد أوضحت بالفعل زيادة الاتصالات اللاسلكية بين وحدات الاسطول اليابانية وبشكل غير عادى ، واتصاف تحركات هذه الوحدات بالريبة ٠**

- **عدم توافر معلومات دقيقة وشـاملة لدى المخـابرات الأمريكية عن جميع تحركات السفن اليابانية أو معظمها مما أتاح لتلك التى اشتركت فى الهجوم على الميناء الافلات من الرقابة والتسلل اليه بسهولة لتحقيق أهدافها ٠**

- **توزيع المهام الخاصة بكسر الشفرة والترجمة وتقييم الرسائل المكسورة وغيرها من الوسائل الفنية على أكثر من ادارة رغم أنه من المفروض أن تكون من اختصاص ادارة واحدة فقط لضمان حسن سير العمل ٠**

- **عدم وجود نظام جيد لحراسة الميناء أو للاستطلاع فضـلا عن تعطل أجهزة الرادار بالقاعدة رغم ادراك المسئولين الأمريكيين لاتجاه اليابان نحو دخول الحرب ضدها ٠**

- اهمال القادة الأمريكيين للميناء مباشرة مسئولياتهم بشكل كامل (عـدم تقديرهم لحقيقـة اشـارات الانذار التى ظهرت على بعض شاشات أجهزة الرادار ـ جمع المعلومات الكافية ٠٠) ٠

- تجمع السفن الحربية الأمريكية فى الميناء بطريقة تتعارض مع أبسط القواعد العسكرية المعروفة (تكاد تلتصق ببعضها مما جعلها أهدافا سهلة للطائرات المغيرة) ٠

- يتعلق العامل الأخير بخطأ ملموس فى الحروب الحديثة لا يزال يحدث حتى الآن ، وهو عدم وجود تعاون فعال بين الأسلحة المختلفة التابعة لدولة واحدة ، وهو ما يؤدى الى مضاعفة الخسائر التى تحدث فى صفوفها كما حدث فى بيرل هاربور ، أو تقليل فاعلية أى انتصار تحصل عليه ٠٠

(تم بفضل الله تعـالى)

مراجع الدراسة

أ ــ الكتب المتعلقة بالمخابرات السوفييتية :

الجاسوسية السوفييتية . . . . Soviet Espicnage
دافيد ج. دالن

الشبكة التى تغطى العالم . . . The Net That Covers The World
هـ. كوكريدج

الموجز للجواسيس . . . . Hand Book For Spies
الكساندر فوت

مدرسة للجواسيس . . . . School For Spies
ج. بيرنارد هونون

الرجل ذو الوجوه الثلاثة . . . . . The Man With Three Faces
هانز أوتوميسنر

الخدمة السرية السوفييتية . . . . . The Soviet Secret Service
أوتو هيليرون

الأوركسترا الحمراء . . . . L'ORCYSTRA ROUGE
جيل بارو

جاسوسية السوفييت فى أربعين عاما . . . SOVIET ESPIONAGE THROUGH 40 YEARS
رونالد سيث

ب ـ كتب عن المخابرات الأمريكية :

مهمة سرية جـ ١ ، جـ ٢ . . . . Secrect Missions
الكابتن زخارياس

وكالة المخابرات المركزية . . . . C I A
اندرو تولى

كنت جاسـوسا أمريكيا . . . . I Was an American Spy
سيدنى ماشبير

الحـكومة المستترة . . . .
ديفيد وايز ، توماس روس

جـ ـ كتب خاصة بالمخابرات البريطانية :

صـياد الجواسيس . . . . Spy Catcher
أوريستى بينتو

تحت ظـلال العـدو . . . . . . Sous Le Masque Ennemi
أ٠ج٠ ادلان

عميل فوق العـادة . . . . Agent Extraordinary
جورج مارتيللى

د ـ كتب تتعلق بالمخابرات الألمانية :

مأساة المخـابرات الألمانية . . . Die Tragodie der Deutschen Abwehr
كارل بارتر

التجسس السـياسى للنـازى . . . . The Secret Front
ويلهلم هوتل

القط والجرزان . . . . The Cat & The Mice
ليونارد موزلى

هـ ـ كتب خاصة بالمخابرات اليابانية :

عملاء سريون ـ تاريخ الجاسوسية اليابانية . . . Secret Servants
رونالد سيث

و ـ كتب عامة أخرى :

تحرق بعد مطالعتها . . . . Burn After Reading
لاديسلاس فاراجو

حـرب الدهاء . . . . War of Wits
لاديسلاش فاراجو

جواسيس وخونة . . . . Spies & Traitors
كورت سنجر

الجاسوسية على المشرحة . . . . Anatomy of Spying
رونالد سيث

مغامرات واقعية . . . . True Advensures of Spies
مانوئيل كومزوف

فى معركة الجاسوسية . . . . Secret of Spies
نخبة من الكتاب

الجاسـوسية والجنس . . . . Sex & Espionage
نخبة من المؤلفين

نساء فى ميدان الجاسوسية . . . . From spy Omnibus
كورت سنجر

كتاب اليـد للجواسيس المحترفين . AHand Book for Professional Spies
نخبة من المؤلفين

أسـاطير من الجاسوسية . . . . . Epics of Espionage
بيرنارد نيومان

صناعة المخـابرات . . . . . . The Craft of Intelligence

الان دالاس

جاسـوسية من أجل السـلام . . . . . . Spying for Peace

جون كيمش

فن الجاسـوسية . . . . Art of Spying

رونالد سيث

الدعاية الدولية . . . . International Propaganda

ل. جون مارتن

الحرب العالمية الثانية . . . . . .

الدكتور صلاح العقاد

من هو الان دالاس . . . . Astudy of a master spy

بوب ادوارد ز. كينث دن

الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم . . . .

لندلى فريزر

الاشتراكية الديمقراطية التعاونية . . . . .

ابراهيم محمد البربرى

فهرست

القسم الأول

المخابرات السوفييتية

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس :

القسم الثانى

المخابرات الأمريكية

الفصل الأول :

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

القسم الثالث

المخابرات البريطانية

القسم الرابع

المخابرات الألمانية

الصفحة

القسم الخامس
المخابرات اليابانية

طبـــاعة

الشركة المتحـــــدة للنشر والتوزيع
٤ شـــارع طلعت حرب (القـــاهرة)
« سليمان ســـابقا) ـ ت : ٥٣٨١٥

⊙

⊙

رقم الايداع ١٩٧٣/٥٢٥٠



الثمن ٢٥ قرشا

توزيع دار المعارف بمصر